أوراق الضحية 805

مقتل الأنبا إبيفانيوس

سارة علّام

دار العين للنشر

أوراق القضية 805

مقتل الأنبا إبيفانيوس

سارة علام

دار العين للنشر

كلام لابد من ذكره

تبدو الكتابة عن قضية مقتل الأنبا إيفانيوس أسقف ورئيس دير أبو مقار، كمحاولة السير فى حقل ألغام، كلما مشيت خطوة تعثرت قدمك في لغم.

القضية التي هزت الرأي العام المصري، لم تكن مجرد مقتل أسقف بين أسوار دير، بل إن أبعادها التاريخية وتشابكاتها وتعقيداتها تجعل منها لغزًا قد يستمر طويلًا، وقد تعاني منه الكنيسة القبطية المعاصرة سنوات قادمة.

الحادث الذى يبدو وكأنه جريمة قتل عادية، جاء بالتزامن مع حلقة مستمرة من التآمر على البابا تواضروس بطريرك الكنيسة القبطية، تتبعها انقسامات داخلية فى الكنيسة الأقدم بالشرق الأوسط، مصحوبة بصراعات على السلطة أحيانًا والمال أحيانًا والعقيدة أحيانًا أخرى، غير أن كل تلك

الصراعات التي يعرفها القريبون من الكنيسة قد سقطت عنها ورقة التوت بمقتل الأسقف المستنير الأنبا إبيفانيوس تلميذ القمص متى المسكين.

كصحفية متخصصة في شئون الكنيسة، أتيح لي طوال السنوات الأربع الفائتة الاقتراب من هذا الصراع بصورة دقيقة، كتبت مئات القصص الصحفية التي نشرت في صحيفتي "اليوم السابع"، وسافرت طول البلاد شمالها وجنوبها لأجري مقابلات وأغطي أحداث، حاولت أن أتخلص من أي أفكار مسبقة أو آراء قديمة، وأن أشكل رؤية تخصني، ساعدني في ذلك تحرري من السلطة الكهنوتية الكنسية بالشكل الذي حيّد نظرتي للأمور دون انحيازات عاطفية.

ورغم أن غالبية ما جاء في هذا الكتاب قد سبق نشره بجريدة اليوم السابع إلا أننا نحاول أن يحيط القارئ بالصورة الكاملة لما يجرى في كنيسة مارمرقس العتيقة منذ مجيء البابا تواضروس للكرسي المرقسي رغمًا عن رغبة كثيرين وحتى تلك الليلة التي أوقظوه فيها على مقتل صديقه ومستشاره الأقرب الأنبا إبيفانيوس مرورًا بما جاء بعد تلك الحادثة من تداعيات.

وفي فصل بعنوان من دفتر الدم والرماد، رصدت مشاهداتي عن أيام الدم والتفجيرات في الكنائس وهي مشاهدات لم تسجلها الصحافة وربما لم ترصدها عدسات الفضائيات ولكنني اخترت أن أسجلها في هذا الكتاب للتاريخ، وكوردة فوق قبور هؤلاء الضحايا.

قد يتساءل القارئ عن الذي يدفع صحفية مسلمة للكتابة في شئون الكنيسة، وهو السؤال الذي واجهته طوال رحلتي الصحفية في السنوات

من الصفوف الخلفية إلى سدة الحكم

لم يكن الصبي الشاب "وجيه صبحي" الذي ترك الدنيا لأجل حياة التقشف والرهبنة، يعلم أن ذهابه لدير الأنبا بيشوي بوادي النطرون عام 1986 سينتهي به إلى اعتلاء سدة كرسي بطريرك الكنيسة القبطية الـ118.

تربى "وجيه" تربية مسيحية، ونشأ في أحضان كنيسته التي كان يشغل فيها منصب أمين الخدمة إلى جوار غيره من الشباب، إلا أن لقاءه بالأنبا باخوميوس أسقف البحيرة في عمره المبكر غير حياته، ودفعه نحو الرهبنة التي تعلق بها قلبه، فترهبن رسميًا في مثل هذا اليوم عام 1988.

في دير الأنبا بيشوي بوادي النطرون، الذي قضى فيه الأخ وجيه عامين بجلباب أزرق قبل أن تتم رهبنته رسميًا، سيعيش حياة النساك في الصحراء بعدما تصلى عليه صلاة الموتى، فالرهبنة موت عن العالم، وحياة أخرى

مع الله، يتغير فيها اسمه ويتجرد من كل ما يملك فيودع وجيه العصيلي ويصير الراهب "ثيؤدور"، الذى ينال رتبة القسيسية بعد عام من رسامته (تعيينه) راهبًا.

ينتقل القس ثيؤدور للخدمة في محافظة البحيرة إلى جوار أبيه ومعلمه الأنبا باخوميوس مطران البحيرة والخمسة مدن الغربية، ويتولى القس الشاب مسئولية الخدمة في كنيسة كنج مريوط التي زارها منذ ما يقرب من شهر ألقى فيها عظته الأسبوعية وكأنه يستعيد ذكريات خدمته كقس، ويعود إليها محاطًا بزفة الشمامسة ويلحن "أبؤورو" الذى يصاحب البابا البطريرك عند دخوله الكنيسة.

سبعة سنوات يقضيها القس ثيؤدور في الخدمة بتلك الكنيسة، ثم يأتي العام 1997 الذى ينال فيه درجة أعلى، فيصير أسقفًا عامًا، ويتغير اسمه إلى الأنبا تواضروس أو عطية الله ويصبح مساعدًا للأنبا باخوميوس بإيبراشية البحيرة التي نشأ وتربى في كنائسها صغيرًا وعاد إليها بعمامة الأساقفة الكبيرة يتفقد أحوال رعيتها، يصلي لهم لينالوا البركة، ويدير شئون القساوسة بمهاراته الكبيرة في علم الإدارة التي حصل فيها على الماجستير من لندن.

لم يكن الأنبا تواضروس الأسقف المساعد بالبحيرة، يتخيل أنه يقترب من كرسي مارمرقس، ولم يطرح اسمه ضمن بورصة المرشحين وهكذا وجد البابا تواضروس نفسه على سدة كرسي مارمرقس، قادمًا من الصفوف الخلفية

عام، وأسقف مُجلس على إيبراشية، الأسقف العام حر الحركة يقدر البابا على ندبه هنا أو نقله هناك، أما أسقف الإيبراشية فهو متزوج منها لا يتركها إلا جسدًا خاليا من الروح، ويدفن أيضا فيها.

سيأتي الأنبا رافائيل الذى سبق البابا فى الانتخابات البابوية وحصد أصواتًا تفوقه، في منصب سكرتير المجمع المقدس بعد سنوات قضاها الرجل الحديدي الأنبا بيشوي فوق هذا الكرسي أدار من خلالها لجنة المحاكمات الكنسية وقد كان مجرد ذكر اسمه يرهب الأساقفة والقساوسة بعدما أحال كثيرين للجان المحاكمة، عزل كهنة وأعاد أساقفة لأديرتهم، إلا أن لحظة التغيير تلك لا تتطلب وجوده، سيعود الرجل الحديدي إلى إيبراشيته وديره يكمل دروسه اللاهوتية كأشهر واعظي الكنيسة وأكثرهم تشددًا أيضا، وسيبتعد عن الأضواء ربما حتى وفاته.

فى ديسمبر عام 2013، أي بعدما يقرب من عام واحد على جلوسه على الكرسي، قرر البابا تواضروس أن يبدأ فى بناء فريقه، فاختار اثنين من رجاله المخلصين، الأنبا يوليوس أسقفًا لمنطقة مصر القديمة وهي إيبراشية جديدة عمل على اقتطاعها، والأنبا دانيال أسقفًا للمعادي حيث كان الأخير يخدم فيها كأسقف عام وعمل البابا على تجليسه على تلك الإيبراشية.

أما الأنبا يؤانس الذى كان يحتل منصبين، سكرتير البابا شنودة وأسقف الخدمات العامة والاجتماعية وهي الأسقفية المختصة بخدمة الفقراء، فهو ولحظٌ البابا تواضروس السعيد أسقف عام وليس مُجلسًا أي يمكن نقله

وندبه، وقد غادر الأنبا ميخائيل أسقف أسيوط فى الـ23 من نوفمبر عام 2014 وصعدت روحه إلى بارئها، فما كان من البابا تواضروس إلا أن يعرض تلك الإيبراشية الهامة على الأنبا يؤانس الذى كان يشرف عليها بالفعل أيام مرض الأنبا ميخائيل.

إيبراشية أسيوط ذات تعداد الأقباط الكبير، تضم دير السيدة العذراء بدرنكة مصدر التبرعات ربما الأكبر فى صعيد مصر، إيبراشية ذائعة الصيت ذات مال ونفوذ، سيتزوجها الأنبا يؤانس ويبعد عن الكاتدرائية إلى وسط الصعيد هناك.

ثم يولي البابا تواضروس الأنبا يوليوس أمر أسقفية الخدمات محل الأنبا يؤانس، ويولي الأنبا دانيال منصب النائب الباباوي فى القاهرة ليحل محله إذا سافر أو تعب ويصير الاثنان "دانيال ويوليوس" كظل البابا لا يفترقان، ويصبحان مع الوقت من علامات عصره الجديد.

يتبقى أمام البابا حجر عثرة واحد، لا يستطيع أن يحركه ولا أن ينتقص من سلطاته، ويظل هكذا حتى اليوم، الأنبا إرميا سكرتير البابا شنودة ورئيس المركز الثقافي القبطي، ورغم أن الأنبا إرميا أيضا أسقف عام كزميله يؤانس إلا أن صلابة إرميا وقوة علاقاته وتجذرها تحول دون نقله.

يسيطر إرميا على إمبراطورية كاملة داخل الكاتدرائية هي المركز الثقافي القبطي، وهو مبنى ضخم يضم متحفًا لمقتنيات البابا شنودة ومكتبة ومركز

للغات، والأهم من كل ذلك قناة مارمرقس التابعة للكنيسة التي يرأسها الأسقف، وتظل العلاقة بين الأنبا إرميا والبابا تواضروس تتسم بالعداء المكتوم الذي لا ترصده عدسات الإعلام ولكن يعرفه كل المقربين من الكاتدرائية، حتى أن إرميا وعلاقاته المتشابكة ستصبح كأحد أدوات الصراع الذي ستدخله الكنيسة منذ تلك الأيام.

وفي العام 2013، يعرف الإعلام لأول مرة اسم الأنبا إيفانيوس، أسقف ورئيس دير أبو مقار الجديد، كل ما سيعرف عنه وقتها إنه الرجل الذي انتخبه رهبان دير أبو مقار رئيسًا لهم كأول رئيس للدير بعد وفاة القمص متى المسكين عام 2009 وبعد اعتذار الأنبا ميخائيل مطران أسيوط عن الاستمرار في إدارة هذا الدير الأزمة، وستقول الكنيسة وقتها أن الرجل حصد غالبية أصوات زملائه الرهبان دون أن توضح إنه حصد أصوات رهبان ثلاثة فقط بعدما امتنع الآخرون.

من بين رجال البابا أيضًا، يبرز اسم الأنبا باخوم شاب أربعيني نشيط كان يخدم ككاهن متنقل في شرم الشيخ، ثم يدخل دير الأنبا موسى بجنوب سيناء عام 2011 ويصبح أول راهب يدخل الدير بعد الاعتراف الكنسي به.

يعرف البابا تواضروس بهذا النشاط الواسع للقس باخوم الذي عرف بقدرته على الوعظ وشبابية خطابه وتجدده، فيستعين به عام 2014 كأسقف لعزبة النخل وهي إيبراشية جديدة استحدثها البابا تواضروس أيضًا، ثم يقرر البابا انتدابه كنائب له في الإسكندرية وأحد أول الأساقفة الذين

يخدمون فى "مدينة الرب" التي تخضع لسلطة البابا شخصيًا باعتباره بابا الإسكندرية إذ تحتل مكانة بارزة فى التاريخ القبطي باعتبارها أول مدينة بشر فيها مارمرقس بالمسيحية في مصر.

وهكذا يستمر البابا ثواضروس في تشكيل فريقه الجديد ممن يرى فيهم ما يمثل توجهاته الانفتاحية ورؤيته فى العلاقة مع الكنائس الأخرى التي كانت أكثر انغلاقًا في عصر البابا شنودة واتسمت بالانفتاح فى عصر البابا ثواضروس.

تشكُّل الجماعات المناهضة للبابا

إزاء حركة التغييرات الكبرى التي قادها البابا تواضروس في الكنيسة من خلال تصعيد أساقفة وإقصاء آخرين عن مواقع كنسية كانوا يحتلونها طوال عصر البابا شنودة الثالث، ظهرت على السطح حركات المعارضة الكنسية والتي بدأت أولى إرهاصاتها مع أزمة الأحوال الشخصية وهي الأزمة التي ورثها البابا تواضروس عن البابا شنودة دون يد منه أو ذنب في ذلك.

في العام 2008 أقر البابا شنودة تعديلات جديدة على لائحة الأحوال الشخصية للأقباط الأرثوذكس التي كانت الكنيسة تعمل بها منذ عام 1938، وألغى البابا شنودة كل الأسباب المؤدية للطلاق مكتفيًا بسببين هما علة الزنا وتغيير الملة أي تغيير طائفة أحد الزوجين إذ تشترط الكنيسة زواج متحدي الملة والطائفة، فإذا تزوجت سيدة إنجيلية برجل أرثوذكسي عليها تغيير ملتها قبل الزواج والانضمام لكنيسته، وإما يصبح زواجهما باطلًا.

"البابا يهتم بالكنيسة التي تقدم الخدمة لكل فرد، ومن أهم اهتماماته منذ جلوسه على الكرسي موضوع الأحوال الشخصية، ويقول البابا" يؤلمني جدًا أن يعتقد ابن للكنيسة أنها تظلم حتى أنه عقد مؤتمرين لدراسة لائحة الأحوال الشخصية آخرها الأسبوع الماضي بالإضافة للعديد من اللقاءات والاجتماعات ليصل في النهاية إلى أن يتحول المجلس الإكليريكي العام الذي كان مسؤولًا عنه نيافة الأنبا بولا إلى ست دوائر فرعية كل منها مكون من أساقف وكاهنين وطبية ومحام لسرعة البت في مشاكل الناس".

يحق لمن يعترض على حكم أصدرته أي دائرة فرعية التظلم أمام المجلس الإكليريكي العام الذي يجتمع مرة كل عام برئاسة البابا ويعاونه سكرتير المجمع المقدس الأنبا رافائيل وعضوية كل أعضاء المجالس الفرعية الثلاثين مجموع الست دوائر مضيفًا أنه بدأ بالفعل العمل بهذا النظام، وهذا من شأنه التسهيل على الكل، مع إعداد لائحة جديدة لا تتعارض مع تعاليم الكتاب المقدس وقوانين الكنيسة ولكن تقدم حلولًا للكثير من المعضلات التي كانت تتسبب في تدمير الأسر، فهل لم ير الذين يهاجمون البابا أي شيء إيجابي في كل ما سبق؟ أم أنهم لا يعلمون؟".

البابا يتواصل مع شعبه، ولكن بأسلوب منظم فهو يُسلم على كل أفراد الشعب بعد كل قداس أو عشية أو اجتماع في كل كنيسة يزورها وما أكثرها، ويلبي طلبات الكل من يريد الصلاة أو تسليمه طلبًا أو التصوير، كما أن البابا يلتقط الصور بنفسه مع أبنائه بطريقة السيلفي التي يحبها الشباب فهو أب قريب من أولاده يشاركهم ما يحبونه بما لا يتعارض مع هيبته، لدرجة

وقوفه أحيانًا بالساعات ليفرح الكل بينما يشفق عليه أبناؤه لمعرفتهم بما يعانيه من آلام الظهر، بخلاف فريق من المعاونين والسكرتارية لمقابلة كل من له مشكلة والعمل على حلها".

"هل يليق لأى شخص اقتحام الكنيسة واستغلال اجتماع روحي غرضه الوحيد هو توصيل كلمة الله للمستمعين في الكنيسة أو على شاشات القنوات الفضائية لإثارة مشكلة؟ وهل أصبح المرح والمرح وإثارة الشغب هو طريق حل المشاكل؟ وأين احترام بيت الله الذي يليق به القداسة؟

"البابا ليس معزولًا عن شعبه كما يحاول البعض إظهاره والسكرتارية تتواصل مع الكل والطبيعي أن تكون هناك طلبات مرفوضة لأنها ضد تعاليم الكتاب المقدس وقوانين الكنيسة سواء فيما يخص الأحوال الشخصية أو غيرها، فما هو المطلوب إذا حاولت الكنيسة احتواء هؤلاء الأشخاص ولكنهم غير مستعدين؟".

"هل كان مطلوبًا من البابا أن يستجيب لطلباتهم؟ وهل لو فعل يكون أمينًا على مسؤوليته أمام الله؟ إن كل ما فعله البابا وتعرض بسببه للهجوم الضاري هو أنه ترك الاجتماع بمنتهى الهدوء دون أي كلمة أو حتى لوم لهؤلاء المحتجين، وبدلًا من ذكر الحقيقة التي رآها الملايين إذا باتهامات توجه إلى البابا بأنه سلم أولاده للشرطة وللنيابة وهذا لم يحدث.

"أن بطريرك الكنيسة يقبل بحب الاختلاف معه في الرأي بل ويرحب بذلك ويسعى لسماع وجهات نظر مختلفة ويهتم بكل رأي، ولكن في

المتشددون ممن يرون أن الأرثوذكس فقط يملكون مفاتيح الفردوس، أما بقية الطوائف فهي مارقة وخارجة عن الدين وتعاليمه القويمة ولا يمكن قبول معتقداتها.

فى أكتوبر من العام 2015 زار البابا تواضروس السويد، وصلّى إلى جوار رئيسة أساقفة الكنيسة السويدية اللوثرية، وهي كنيسة إنجيلية تشكلت بعد حركة مارتن لوثر الإصلاحية التى انشق بموجبها عن الكنيسة الكاثوليكية، الكنيسة التى صلى بها البابا تبيح رسامة المرأة قسيسة وتسمح بزواج المثليين، لن يمر هذا الأمر مرور الكرام، سيكشر المتطرفون عن أنيابهم وسيعودون للحرب على البابا مرة أخرى عبر صفحاتهم وقنواتهم الفضائية مدفوعين بالموتورين من الأساقفة.

سيتهمون البابا بإفساد العقيدة والخروج عليها، وسيضطر البابا للدفاع عن نفسه فى قناة الكنيسة فيقول فى حوار تلفزيونى نقلته قناة سى تى، إنه كان ضيفًا للكنيسة السويدية وشارك بصلوات القداس بقيادة سيدة وهو ما يختلف عن تقاليد كنيستنا القبطية ولكن المشاركة فى صلوات القداس لا تتطلب التطابق فى وجهات النظر أو الفكر أو العقيدة.

هناك خلافات بين الكنائس فى العالم ولكننا نعمل بمحبة كبيرة، وشاركت أيضًا بمجمع أساقفة الكنيسة السويدية الذى يضم سيدات وحضره ملك السويد وألقيت كلمة هناك، والكنيسة السويدية تحيل الأساقفة على المعاش عند عمر الـ60 عاما وتحيل رئيس مجمع الأساقفة للمعاش عند عمر الـ65 عاما وهى أمور غير معمول بها فى كنيستنا ولكننا نتواصل مع المختلفين معنا بمحبة وصدر رحب.

بابا الفاتيكان فى القاهرة/ اتفاقية قبول المعمودية

فى الثامن والعشرين من أبريل عام 2017 زار البابا فرنسيس بابا الفاتيكان مصر فى أول زيارة له وصفت بالتاريخية، شهدت الزيارة لقاء البابا فرنسيس، بابا الفاتيكان، والبابا تواضروس الثانى وتوقيع اتفاقية بين الكنيستين حول المعمودية، وهو أحد أسرار الكنيسة السبعة ويعد الاتفاق حولها خطوة كبرى فى طريق التواصل بينهما.

النص الذى تم التوقيع عليه، بمقر الكاتدرائية، هو: "طاعةً لعمل الروح القدس الذى يقدس الكنيسة ويحفظها عبر العصور ويقودها لتبلغ الوحدة الكاملة التى صلى المسيح من أجلها، نحن اليوم البابا فرنسيس والبابا تواضروس الثانى كى نسعد قلب ربنا ومخلصنا يسوع المسيح وكذلك قلوب أبنائنا فى الإيمان، نسعى جاهدين بضمير صالح نحو عدم إعادة

سر المعمودية الممارس فى كنيستينا للشخص الذى يريد الانضمام للكنيسة الأخرى حسب تعاليم الكتاب المقدس وإيمان المجامع المسكونية الثلاث فى نيقية والقسطنطينية وأفسس، نطلب من الله الآب أن يقودنا فى الأوقات وبالطرق التى يريدها الروح القدس إلى بلوغ الوحدة التامة لجسد المسيح السرى".

سر المعمودية هو أحد الأسرار الكنسية السبعة والذى يترتب عليه سر أخر هو سر الزواج، وفقا لطقوس الكنيسة الأرثوذكسية لا يجوز الزواج إلا لمتحدي الملة والطائفة وهو ما يتم من خلال سر المعمودية، الكنيسة الأرثوذكسية لا تقبل معمودية الكنائس الأخرى ومن ثم فإن زواج كاثوليكي بأرثوذكسية يتطلب تعميده مرة أخرى، أو تغييرها لملتها لتصبح كاثوليكية وتتزوج فى الكنيسة الكاثوليكية وفقا لطقوسها.

تقبل الكنيسة الكاثوليكية معمودية الأرثوذكس ولا تعيد المعمودية مرة أخرى بينما تعيد الكنيسة الأرثوذكسية تعميد أي شخص لم يعمد أرثوذكسيًا عند ولادته.

شكل هذا الاتفاق نقطة تلاقٍ كبيرة بين الكنيستين، إلا أن أساقفة التيار التقليدي المتشدد شنوا حملة شعواء ضد الأمر ورفضوا الاتفاقية مما اضطر الكاتدرائية لتغيير نصها بعد التوقيع عليها من "قبول معمودية الكاثوليك" لـ"نسعى جاهدين لعدم إعادة المعمودية"

كان من بين من تزعموا حركة الهجوم تلك الأنبا إبرام أسقف الفيوم الذى قال إن البابا تواضروس أخطأ فى ذلك وكونه بطريرك لا يعنى أنه معصومٌ من الخطأ. الأنبا إبرام اتهم البابا صراحة بعرض وثيقة الفاتيكان على عدد من الأساقفة بالمخالفة لقوانين المجمع المقدس الذى يحق له وحده البت فى ذلك، فلا وحدة مع الكاثوليك دون حوار لاهوتى مثلما يقول ويشدد: إذا كانت الكنيسة الكاثوليكية تقبل انضمام أرثوذكسى إليها بدون إعادة معموديته، فهذا شأنها. لكن بالنسبة لنا مازلنا متمسكين وملتزمين بضرورة إعادة المعمودية لمن يرغب فى الانضمام، عاونه فى ذلك الأنبا اغاثون أسقف مغاغا الذى رفض الاتفاقية جملة وتفصيلا ثم توالى بعد ذلك رفض أساقفة التيار التقليدي لتلك الاتفاقية.

على النقيض كان موقف الأنبا إبيفانيوس رئيس دير أبو مقار وتلميذ القمص متى المسكين أول من آمن بضرورة الوحدة مع الكنائس الأخرى إذ تتسم تلك المدرسة الرهبانية بقدرة أتباعها على القراءة مباشرة من اللغة اليونانية بالإضافة إلى البحث فى المخطوطات القديمة التي هى سمة تميز دير أبو مقار الذى يضم مكتبة عامرة بالمخطوطات التاريخية.

الأنبا إبيفانيوس لم يدخل معركة توحيد معمودية الكاثوليكة التى دخلها أساقفة التيار التقليدي إنما ادخر ذلك لمؤتمر أصدقاء التراث العربي المسيحي الذى استضافته كلية اللاهوت الإنجيلية التابعة للكنيسة الإنجيلية فى أبريل 2018، أي بعد عام من توقيع اتفاقية الفاتيكان وقبل ثلاثة أشهر

من مقتله، كانت محاضرته كاملة العدد إذ شكلت قفزة على ما يروج له أساقفة التيار التقليدي الذين يدعون إن إعادة المعمودية جزء من تراث الكنيسة الأرثوذكسية الذى تسلموه من الآباء الأوائل قبل قرون ولكن كشف عبر مخطوطات أثرية ما كنت تتبعه الكنيسة القبطية بالتحليل في هذا السياق وفجر مفاجأة غير سارة للأساقفة الذين لم يوردوا أي دليل على أقوالهم.

قال الأنبا إيفانيوس في تلك المحاضرة المسجلة على الإنترنت إن الكنيسة الأولى شهدت نقاشًا حول سر المعمودية وقد كان هناك آراء متشددة ترى أن معمودية الهراطقة والخارجين عن الكنيسة لا تحسب معمودية وقد تبنى ذلك آباء شمال أفريقيا، بينما تبنى آخرون إن المعمودية لا تتم إعادتها إن تمت في كنيسة تقليدية مثل الكنيسة الكاثوليكية وقد كان ذلك رأي الكنيسة القبطية والكنائس التي تميزت بالاعتدال

وأورد الأنبا إيفانيوس وما يعنينا في ذلك هو رأي الكنيسة القبطية، فقد قال البابا خرستوذولس البطريرك الـ66 من بطاركة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في النصف الثاني من القرن الـ11 رأيه في هذا الأمر في مخطوط لدينا نسخة منه بمكتبة دير الأنبا مقار حيث حملت المخطوطة عنوان "حكم زواج رجل قبطي من إمرأة ملكانية" والملكانية تعني الكاثوليكية أو المنتمية لكنيسة الروم الأرثوذكس.

وذكر الأنبا إيفانيوس نقلًا عن المخطوطة إن القانون ينص على "من

تزوج بامرأة ملكانية فلا يُمكّن من ذلك إلا أن يتكفّلا عندنا بعد أن يشرط على المرأة ألا تتناول إلا عندنا والأطفال لا يتعمدون إلا عندنا"

وشرح قائلا "أي إننا لا نمكنها من الزواج إلا إذا كانت صلاة الأكليل فى كنيستنا الأرثوذكسية على أن نشترط عليها تعمد أبنائها عندنا وهو الشرط الوحيد الذى وضعه، وقد كان هذا البابا يعترف بمعمودية الكاثوليك والروم الأرثوذكس واشترط فقط أن نشترط على الزوجة بالحضور فى الكنيسة الأرثوذكسية فقط وممارسة طقوسها.

وفى مخطوط آخر كتبه الأنبا صموئيل اسقف شبين القناطر، يحمل عنوان مخطوط الطب الروحاني منسوب للأنبا ميخائيل الأسقف فى منتصف القرن الثالث عشر جاء فيه" ينبغي أن تعلم أن القانون 18 و19 و33 لمجمع نيقية الذى يحمل العنوان فيمن يجب أن يعمد ثانية وما لا يجب تعميده من الهراطقة"

"يأمرنا بمعمودية قوم على ملل لم يبقى فى زمننا منهم أحد يعرف، وهم بعض الهراطقة الذين ذكروا فى الكنيسة الأولى مثل السبتية وأصحاب سيمون الساحر والأريوسية وأصحاب مقدونيوس وذكر ما يطول به الشرح وقد أبادهم الله من الأرض"

وفى الباب السادس من مخطوط الطب الروحاني: أما من عَلم الروح القدس إن إيمانهم مستقيم أو قريب من الاستقامة وقد انشقوا عنا بعوائد

وسنن وأقوال التزموا بها وزاملوها، فلم يذكر الآباء ضرورة تعميدهم مرة أخرى.

وأردف شارحا: فمن آمن بالثالوث وبالتجسد يعتبر في عرفنا مؤمنا أرثوذكسيا ولا ينقص إيمانه في شيء من جهة الإيمان بل من جهة ما تخصص ما انفرد به من عوائد أو سنن أو خالف في بعض الأصوام والأعياد، ولا يجب لنا عياده أو لعن دينه أو اعتقاده لأنه تضمن قبول الإنجيل المقدس وكتب الأنبياء والرسل بل يجب دحض عوائدهم وسننهم نقول أن عوائدهم خاطئة بل نقبل من يأتي منهم كمن نقبل المؤمن الذي طلب التوبة لا يجب أن يعد كالكافر والوثني واليهودي بل يقبل معموديته وكهنوته ومربونه وهذا النص يفصل تماما بين معمودية الهراطقة وبين معمودية الكنائس القديمة المختلفة في الإيمان.

كانت تلك المحاضرة ذائعة الصيت سببًا، في هجوم كتائب السوشيال ميديا المدعومة من الأساقفة على الأنبا إبيفانيوس والبابا تواضروس من بعده مع اتهامات تتضمن التفريط في العقيدة والهرطقة والرغبة في إفساد الكنيسة القبطية وشق صفها.

مجمع مايو 2018

رياح التغيير التي عصفت برجال الحرس القديم

بعد شهر ونصف من محاضرة الأنبا إبيفانيوس الشهيرة حول قبول معمودية الطوائف الأخرى، كانت الكنيسة الأرثوذكسية على موعد مع خطوة جديدة نحو التغيير، فقد عقد المجمع المقدس للكنيسة فى موعده فى نهاية مايو ولكن تلك الدورة لم تكن ككل الدورات التي يناقش فيها آباء الكنيسة أمورًا عقيدية بشكل روتيني، لقد شهدت تلك الدورة عددًا من التغيرات التى أجراها البابا تواضروس فى تركيبة الكنيسة ومواقع القيادة فيها وقد كانت جزءًا من برنامج طويل المدى يعمل عليه البابا منذ يومه الأول على سدة كرسى مارمرقس حين حلم بأن ينقل المؤسسة الكنسية نحو عصر التنوير رغم ما يواجه هذا المشروع من عقبات أهمها

اختطاف الكنيسة من قبل الأساقفة الصقور أو التقليديين، اللذين كانت لهم الغلبة طوال السنوات الماضية فى عصر البابا شنودة ابن نفس المدرسة، بينما كانت مدرسة متى المسكين أو حمائم الكنيسة أبناء التيار المتاوى مبعدين ومستبعدين لا يعتلون المناصب الكنسية العليا ولا يخرجون من أديرتهم الصحراوية.

حين جاء البابا تواضروس لكرسى بابا الإسكندرية، شكل فريقه الخاص، رجال يثق بهم يتولون مهمة قيادة الكنيسة فى عصر الإنترنت، وكانت اختيارات البابا تنحصر بين عنصرين أساسين قوة الشخصية والشباب، فإن مال البابا لأحد الأساقفة فلا بد وإنه يتمتع بشخصية حاسمة كنموذج الأنبا دانيال أسقف المعادى الذى جرى تصعيده فى عصر البابا تواضروس أكثر من مرة، ما بين مسئولٍ عن المجلس الأكليريكي للأحوال الشخصية ثم نائبًا باباويًا يدير الكنيسة فى غياب البابا تواضروس خارج البلاد، وأخيرًا على مقعد سكرتير المجمع المقدس أى الرجل الثانى فى الكنيسة رسميًا.

أما الشباب فكان لهم نصيبٌ كبير من اختيارات البابا تواضروس، وعلى رأسهم الأنبا يوليوس أسقف الخدمات الاجتماعية، أربعينى شاب دخل الكاتدرائية من بابها الواسع، واعتلى مقعد الخدمات الاجتماعية وثيق الصلة بالفقراء وبعطايا الكنيسة بديلًا عن الرجل القوى الأنبا يؤانس سكرتير البابا شنودة الذى تم إبعاده نحو أسيوط أسقفًا على الإبراشية التى كان يشرف عليها أيام مرض أسقفها الأنبا ميخائيل، وتتوالى اختيارات البابا

وتتعدد ويظل الثنائي "دانيال" و"يوليوس" محل ثقته وإعجابه فيحظى الأول بمنصب سكرتير المجمع المقدس، ويعين الثاني عضوًا في لجنة السكرتارية، أما الاختيار الثالث فكان من نصيب الأنبا جابرييل، أسقف النمسا، الرجل الذي أدار الملف العلاجي للبابا وبنى علاقات واسعة مع الكنيسة الكاثوليكية هناك حتى أن الأخيرة أهدت الكنيسة القبطية كنيسة كبيرة في قلب العاصمة فيينا، وهي الصفات التي يحرص البابا تواضروس عليها في معاونيه ويشدد عليها "القلب المنفتح" والعلاقات الطيبة مع الكنائس الأخرى، أما الاختيار الرابع، فكان من نصيب الأنبا غبريال أسقف بني سويف، وهو وجه جديد على الكاتدرائية، فلم يسبق له أن وضع في اختبارات هامة وحاسمة سوى إدارته للدير المحرق عقب وفاة الأنبا ساويرس أسقف الدير وحتى تعيين رئيس جديد للدير نفسه.

منصب جديد استحدثه البابا تواضروس ضمن قرارات المجمع المقدس في دورة مايو، وهو منصب المراقب الباباوي للحوار، إذ عين الأنبا ابفانيوس رئيس دير أبو مقار، أحد أشهر تلاميذ متى المسكين مراقبًا بلجنة الحوار اللاهوتي، وهي اللجنة التي يرأسها الأنبا بيشوى مطران كفر الشيخ والبراري منذ سنوات طويلة، وهو الأمر الذي أثار دهشة المتابعين، إذ يعتبر الأنبا بيشوى أحد أهم معلمي اللاهوت التقليديين في الكنيسة إن لم يكن أكبرهم على الإطلاق، بينما يأتي الأنبا ابيفانوس من مدرسة مغايرة، تتهم دائمًا بالخروج عن التقاليد الكنسية والبدع من أبناء المدرسة الأولى.

"الأنبا هرمينا" أسقف عين شمس الشاب، اختيار جديد للبابا يتقدم نحو موقع المسئولية إذ جرى تعيينه رئيسًا للمجلس الإكليريكي للأحوال الشخصية بالقاهرة، وهو الملف الأسخن في الكنيسة، بينما تم إبعاد الأنبا بولا عن رئاسة المجلس الإكليريكي باستراليا دون أن تعلن الكنيسة عمن يخلفه، وهو القرار الذي أثار ارتياحًا كبيرًا في أوساط المتضررين العالقين في زيجات فاشلة إذ تسبب سوء إدارة الأنبا بولا لملف الأحوال الشخصية طوال الـ30 سنة الماضية في الكثير من الأزمات.

كذلك فإن البابا وضع مادة جديدة تخص تشكيل اللجان الدائمة بالمجمع المقدس، فلكل لجنة مدة الثلاث سنوات يجرى بعدها الاقتراع السري بين الأساقفة لاختيار رؤساء اللجان، وهو القرار الذي يفك احتكار بعض الأساقفة للجان سنوات طويلة ويعطي الفرصة لآخرين.

أثناء اجتماعات المجمع المقدس لتلك الدورة الساخنة انكشف بوضوح أن الصراع بين الأساقفة قد دخل مرحلة جديدة، حيث طالب البابا في اجتماع لجنة الإيمان والتشريع والتعليم الأساقفة بالتوقف عن إصدار بيانات منفردة بعيدة عن الكاتدرائية ومتحدثها الرسمي خاصة البيان الصادر عن أساقفة المهجر موقعًا من 12 أسقفًا بعد اجتماعهم في كندا وهو البيان الذي أعدوه ردًا على الأنبا انجيلوس إذ نسبت تصريحات منسوبة للأخير في وابل من الهجوم عليه حين قال أن بعض قصص الإنجيل رمزية ثم عاد وفسر ذلك بها أسماه المدرسة الرمزية في تفسير الإنجيل وقد كان الأنبا

انجيلوس يخدم كأسقف لكنائس شبرا الشمالية ثم انتدبه البابا تواضروس للخدمة فى الولايات المتحدة الأمريكية كنائب باباوي له ثم عاد فجأة من هناك بعد أن قيل أن أساقفة المهجر رفضوا استمراره فى الخدمة معه وقد ظهر ذلك جليا بعد البيان الذى أصدروه ضده.

بالإضافة إلى البيانات التى اعتاد الأنبا اغاثون اسقف مغاغا والعدوة إصدارها باسم رابطة خريجى الكلية الإكليريكية التى يرأسها الأمر الذى رفضه الأساقفة حيث تمسك أسقف مغاغا بحقه فى إصدار بيانات باسم الرابطة مؤكدًا أن الأمر يأتى بدافع غيرته على الإيمان المسيحى وتقاليد الكنسية.

أما الأنبا اغاثون أسقف مغاغا فقد انضم لجبهة مهاجمي البابا مستخدما رابطة تسمى رابطة الكلية الإكليريكية وهي جمعية أهلية أسسها مع عدد من خريجي الكلية المختصة بتخريج القساوسة فلم تفوت الرابطة فرصة لافتعال الأزمات فى الكنيسة إلا وظهرت فيها، سواء بالدعم أو بإطلاق البيانات أو التصريحات على لسان الأنبا أغاثون أسقف مغاغا والعدوة ورئيس الرابطة، واللافت فى الأمر أن كل تلك المواقف التى تشعلها رابطة الكلية الإكليريكية دائمًا ما تكون ضد موقف البابا تواضروس أو قرارات الكنيسة الرسمية.

وفى رد فعل عكسي صدر عن الكلية الإكليريكية بالكاتدرائية جاء فيه: نظرًا لما صدر بيانًا منسوبًا لطلاب الكلية الإكليريكية بالعباسية تتبرأ

فيه من الرابطة وتؤكد أنها مجرد جمعية أهلية مقرها خارج الكلية الإكليركية وهدفها الرعاية الاجتماعية لأعضائها، وأن ما تصدره من بيانات بتوقيع رئيس مجلس إدارتها الأنبا أغاثون وبعض أعضاء مجلس إدارتها ومنهم رشدى واصف، إنما هى بيانات تمثل هذه الجمعية التى ليس من اختصاصها إصدار بيانات تتضمن أمورا لاهوتية وعقائدية، طبقا لقانون الجمعيات الأهلية، ومن ثم فما يصدر عنها من بيانات هو مخالف لقانون الجمعيات الأهلية ويعاقب عليه القانون ويهددها بالحل، لذا وجب التنويه بأن هذه البيانات لا تمثل أساتذة وطلاب الكلية الإكليركية".

وكان للأنبا اغاثون نصيب أيضا من معركة توحيد معمودية الكاثوليك فالأسقف أصدر بيانًا اتهم فيه الكنيسة الكاثوليكية بالهرطقة، وألمح إلى أن توقيع البابا على بيان قبول معمودية الكاثوليك فيه تنازل عن الإيمان الأرثوذكسى.

بعدها نشر البابا تواضروس مقالا فى مجلة الكرازة الناطقة باسم الكنيسة يفسر فيه حقيقة التغيرات التى أجراها بالمجمع المقدس وقال أن حركة التغيير والتجديد في المناصب الإدارية بالكنيسة، تأتي في إطار احتياجها إلى فكر إدارى حديث، وضخ دماء جديدة، حيث تجري التغييرات بسلاسة ومحبة.

الكنيسة منذ تأسيسها وهي تقوم على نظام يتطور إداريا من مرحلة إلى مرحلة، بحسب معطيات الزمان الذي توجد فيه، وأنه مع امتداد الكنيسة واتساع عملها وخدمتها ونشاطها؛ احتاجت إلى نظام إداري جيد ومتجدد،

بحسب المسؤوليات التي تظهر، لخدمتها.

جرى تجديد لجنة سكرتارية المجمع المقدس، في نموذج سلس للتغيير والتجديد الناعم، بروح المحبة الكاملة التي تسود أعضاء الهيئة العليا في الكنيسة، وهي المجمع المقدس، مشيرًا إلى أنه على نفس الوتيرة من التجديد وضخ الدماء الجديدة وتكوين الخبرات وتأهيل للمسؤوليات التي تحتاجها خدمة الكنيسة، جُددت آلية العمل في المجلس الإكليريكي للأحوال الشخصية.

أنه من أجل تجديد العمل الإداري بالكنيسة، افتتح معهد جديد، منذ عامين، في العلوم الإدارية والتنموية، لتقديم دورات ودراسات للأساقفة والكهنة والرهبان والمكرسات والشمامسة والخدام والخادمات، عن العمل الإداري والتنظيمي.

أرحب بكل فكر وجهد ورؤية واقتراح لتطوير العمل الكنسي القائم على روح المحبة والأمانة، والبعد عن الهوى الشخصي والذات والرؤية الضيقة أو الفكر النفساني العقيم، مطالبا بأن يكون هذا محور دراسة تأمل في اجتماعات مجالس الكنائس ومجامع الكهنة واجتماعات الخدام في سائر الكنائس والإيبارشيات"

كانت تلك المقالة محاولة لدرء الفتنة التي حدثت عقب تغيير المناصب العليا فى المجمع المقدس والإطاحة بمعظم رجال الحرس القديم من اللجان التي كانوا يتولون إدارتها.

احتفالية الإسكندرية

متى المسكين يظهر فى حفل كنسي قبل أيام من الحادث

فى الخامس والعشرين من يوليو أي قبل مقتل الأنبا إبيفانيوس بأيام معدودة، نظمت إيبراشيات الإسكندرية حفلًا لإحياء ذكرى مئوية مدارس الأحد هناك، وهى الاحتفالات التي عمت كل الإيبراشيات كل في موعد، وقد شارك البابا تواضروس بالحضور فى معظمها بالفعل.

تعتبر مدينة الإسكندرية وكنائسها من أكثر المناطق التي يحظى فيها البابا تواضروس بالحظوة، إيبراشيات المدينة الملقبة بالمدينة العظمى تأسست فى عصر البابا تواضروس إذ كانت قبل ذلك تابعة لإشراف البابا البطريرك شخصيا ولا يعين لها أساقفة، وحين جاء البابا تواضروس عين لها الأنبا بافلي كأسقف للشباب بالإسكندرية ونائبًا باباويًا له هناك، والأنبا ايلاريون

أسقفًا لغرب الإسكندرية، ومن ثم فإن تيار البابا مسيطر وغالب في تلك الكنيسة.

في احتفالية مدارس الأحد، التي نظمتها الإسكندرية ظهرت صورة كبيرة على المسرح للقمص متى المسكين مذيلة بعبارة "مدارس الأحد" مع جيل الرواد، وهو الأمر الذي أثار دهشة وحنق التيار التقليدي المتشدد في الكنيسة، القمص المثير للجدل لم يكن من رواد مدارس الأحد ولم يكن من مرباويشها أو معلميها يومًا ولكن ظهوره في هذا التوقيت وبعد تغييرات هيكلية أجريت في المجمع المقدس يبعث رسالة للجميع تؤكد صعود تيار متى المسكين المعروف باسم التيار الآباتي على حساب التيار التقليدي المتشدد من تلاميذ البابا شنودة ورجال عصره.

متى المسكين والبابا شنودة صراع القطبين

وُلد متى المسكين عام 1919م، وتخرج في كلية الصيدلة عام 1943م، اشتغل في المهنة حتى سنة 1948م وكان يمتلك صيدلية في دمنهور، ثم قرر أن يترهبن، فباع كل ما يملك ووزعه على الفقراء وترهبن في دير الأنبا صموئيل في الصعيد يوم 10 أغسطس 1948م، واختار هذا الدير لأنه كان أفقر دير وأبعد دير عن العمران وأكثرها عزلة.

سرعان ما هزلت صحته بسبب فقر الدير الشديد وأجبر على الانتقال إلى دير السريان بوادي النطرون سنة 1951. عاش متوحداً في مغارة وسط الصخور بعيدًا عن الدير، وبعد ستين كُلّف أن يصير أبًا روحيًا لرهبان الدير وعلى الأخص للشباب المتقدم للرهبنة حديثًا.

وقد ظل هناك حتى تم تكليفه بالعمل كوكيل لبطريركية الإسكندرية يضبط الحياة الروحية والخدمة فيها، ويتيح المنصب عضوية المجمع المقدس بالكنيسة أيضًا.

في تلك الفترة كان القمص متى على الموعد الأول مع الصدام مع السلطة الكنسية وهو الأمر الذي سيتكرر مع كل البابوات الذين عاصرهم الرجل، فقد بدأ الكهنة يعترضون على قراراته وطريقة تفكيره مما دفعه لترك الخدمة مرتين حتى أقاله البابا يوساب الثاني عام 1955

وعن ذلك يقول القمص متى:

رفضت أن يتقاضى القساوسة العطايا من الناس، وقررت لكل منهم راتبًا شهريًا من الكنيسة كان 80 جنيهًا، وهو مبلغ كبير، وسعيت للقضاء على الإسراف، فانقلب أصحاب المصالح على إصلاحاتي التي أخذت بها الكنيسة فيما بعد، وكان أن أجبرت على ترك موقعي(*).

بعد جلوس الأنبا كيرلس السادس على الكرسي البابوي، أصدر البابا قرارًا بحرمان الأب متى من الكهنوت، وأمر جميع الرهبان العاملين داخل المؤسسات الكنسية والمدن بالعودة إلى أديرتهم، وأمر الأب متى بالخروج من بيت التكريس في حلوان، ولكن الأب متى رفض تنفيذ القرار وخرج مع 12 راهبًا وذهبوا إلى مكان مهجور في وادي الريان بالقرب من الفيوم،

(*) المرجع السابق.

ومكثوا المدة 10 سنوات داخل إحدى المغارات الموحشة، وكان من بين هؤلاء تلميذه الراهب أنطونيوس السرياني (الأنبا شنودة فيما بعد) الذي فر مع عدد من الرهبان ترك المكان لقسوته ووعورته.

وفي سنة 1969، بعد مُصالحة مع البابا كيرلس، دعاه البابا مع جماعته الرهبانية (12 راهبًا) للانتقال إلى دير أنبا مقار بوادي النطرون الذي كانت الحياة الرهبانية فيه توشك أن تنطفئ، وعهد إليه بمهمة تعمير الدير وإحياء الحياة الرهبانية في الدير من جديد(*)، بدأ الأب متّى تعميرًا ماديًا ومعنويًا، حيث مجهوده موزعٌ بين الزراعة وبناء القلايات وتعليم سُكانها من الرهبان الشباب، وإطلاق العظات وخطّ المؤلفات التي صارت مرجعًا لقساوسة من كل أنحاء العالم.

كان الأب متى المسكين يؤمن بضرورة إعادة الرهبنة إلى جذورها الأولى، رهبنة الآباء الأوائل المنعزلة عن العالم وكان لكتابه حياة الصلاة أثرًا كبيرًا في اجتذاب الشباب للرهبنة، ولمن لم يرغب في الرهبنة لكنه لا يريد أن يفوّت على نفسه خدمة الكنيسة.(**)

لاهوتيًا، كان للأب متى المسكين الكثير من الأفكار المغايرة للسائد كنسيًا، مثّل فكر متى المسكين خطًا إصلاحيًا متميزًا ومغايرًا لغالب الخط

(*) موقع دير الأنبا مقار.

(**) على خُطى متى المسكين.. من الأنبا مقار إلى باب السماء، صفاء سرور، موقع القصة.

الكنسي الأرثوذكسي السائد، فهو يرى أن التربية الروحية هي الدور الرئيسي والوحيد للكنيسة، وأن اعتياد الكنيسة على السلطة الزمنية يعتبر هجراً أكيداً للمسيح وإنكاراً للروح القدس كمصدر للقوة، وبناءً على الأصل المسيحي "أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله"، فالأب متى يرى أن مصدر قوة قيصر هو المال وسياسة الدهاء والقدرة على البطش، بينما مصدر القوة عند الله هو الروح القدس والقدرة للشهادة للحق، كما يرى أن القوتين متعارضتان ولا يمكن الجمع بينهما، وإلا فقدت الكنيسة معونة الروح القدس وكانت حالذاك لا تشهد بالحق(*).

كما يرى الأب متى أن أي استخدام لوسائل أخرى غير المناداة الحرة بالتوبة لدعوة الخطاة إلى الخلاص من خطاياهم هو عمل مستحيل، لأنه ليس ثمة خلاص إلا بالتوبة، وكل وسيلة أخرى مثل ترغيب الناس بالمال أو بالهدايا أو بالأكل أو بالملابس أو بالمسليات تُعتبر كلها وسائل غير مشروعة، وكذلك محاولة إغراء وشراء ضمائر الناس لله بأموالنا وحاجات الدنيا. كذلك كل محاولة لاستخدام السلطان سواء كان سلطان الدين أو السلطان الزمني أو استخدام التهديد أو الوعيد أو استخدام العقوبة أو المقاطعة لإجبار الخاطئ على التوبة، فكل هذا السلطان يُعتبر عمل اغتصاب وسلباً لمشيئات الناس واستعبادهم باسم الدين والكنيسة. وهكذا تكون كل

(*) "الكنيسة والدولة.. الطاعة والتعصب"، متى المسكين، ص 29 - 31، طباعة دير الآباء مقار.

محاولة لكسب الإنسان الخاطئ إلى الله بطريق آخر غير الكرازة والمناداة الحرة لتوبة إرادية حرة، يُعتبر خروجاً عن وسيلة الاختصاص في المسيحية.

والطائفية عند متى المسكين مفهوم به انخداع كبير لدى الإنسان، كما يراه، حيث يصور له أنه يستطيع تأمين مصالحه بشرط ألا ينفتح على الآخر، ومن هنا يتحول الخداع إلى اقتناع نفسي يتأصل داخل الإنسان. فالطائفية مرض يعترض النمو النفسي للفرد والجماعة، وبذرتها الأولى هي الفرار إلى الأمان النفسي وتأمين السلام الذاتي الذي يبدأه الإنسان طفلاً مع أمه ثم مع أسرته ثم - وهنا الخطأ الفادح - مع كنيسته، أي عقيدته. ولكن الكنيسة ليست الملاذ؛ ليست مكان تكتل لتتلافى فيه خسارة دنيوية أو نضمن فيه قيام وجود مشترك يضمن مصالح أرضية. بل على النقيض تماماً. ففي الكنيسة نتعاهد أن نخسر كل شيء من أجل المسيح، ونحسب كل ما في العالم نفاية وخسارة من أجل فضل معرفته وحبه.

هنا يفسر متى المسكين رأي الكتاب المقدس في قضية الطائفية منطلقاً من أنه يجب أن نبعد الكنيسة ونبتعد بها عن التكتل الإنساني البشري(*)، فالطائفية كتكتل بشري مكانه الوحيد بعد الأسرة هو خارج الكنيسة حيث يمتصها الوطن، وهو المسؤول عن تفتيت الطائفية والتعصب والعمل على انفتاح الإنسان نحو الآخر مهما كان هذا الآخر(**)

(*) لأب متى المسكين والبابا شنودة، تمايزات اللاهوت المصري، محمد توفيق، موقع إضاءات
(**) المرجع السابق.

بدأت الخلافات العقيدية تعرف طريقها إلى القمص متى المسكين والبابا شنودة، قبل أن يعتلي الأخير سدة كرسي مارمرقس، عام 1971 إذ انصب عمله على مراجعة كتاب للقمص متى عام 1961، كان قد عهد للبابا شنودة بمراجعته إلا أن الأول لم يعتد بملاحظة الأنبا شنودة الذي كان أسقفًا للتعليم.

وأكد البابا شنودة في فيديو مسجل له، أنه أرسل للقمص متى أكثر من مرة ملاحظاته، إلا أن الأخير صمم على طبع كتبه بنفس ما جاء فيها، ما دفع البابا للرد على كتبه في محاضرات بالكلية الإكليريكية دون ذكر اسم المؤلف، ثم وصف القمص متى في كتاباته بأنه "راهب أمين، لكن لا يدرك خطورة التعبير اللاهوتي الخاطئ".

ومنذ الستينيات، وحتى أوائل القرن الـ21، استمر الخلاف العقائدي بين كل من القمص متى والأنبا شنودة، وكان أبرزها يدور حول مسألة "تأليه الإنسان"، و"عقيدة الكفارة والمبادلة الخلاصية"، "النقد الكتابي والتشكيك في صحة أجزاء بإنجيل مرقس وبعض عبارات انجيل متى"، و"دور الأعمال الصالحة في نوال الخلاص"، و"مفهوم الوحدة مع الطوائف الأخرى"، ومسائل أخرى.

وكان الأب متى المسكين قد حصل على مجموعة كاملة لأقوال الآباء مُترجمة إلى اللغة الإنجليزية، فقرأها بنهَم، فانطبع فكر الآباء على تفكيره، واصطبغت حياته بسِيَرِ قدِّيسي الكنيسة، فخرجت كتاباته لها طعم كتابات

أبناء الكنيسة، دون الحاجة لذكر نصوص كثيرة حرفية لهم، وأمن الأب متى المسكين أن الوحدة المسيحية يمكن أن تتحقق، ليس عن طريق الحوار على الدرجة الأولى، ولكن عن طريق فدّيسي كل كنيسة، الذين بصلواتهم وسيرتهم سوف يُلهمون قادة الكنائس ما يُعينهم على إتمام الوحدة، وهو ما رفضه البابا شنودة وتياره الفكري.

وبلغ هذا الخلاف ذروته، حين تصادم البابا شنودة مع الرئيس السادات، حيث كان يقف القمص متى في صف الرئيس ويرى أن البابا خطئ في تصعيده ضد الدولة حين قرر إلغاء الاحتفالات بأعياد القيامة وعدم استقبال المسئولين بسبب ما جرى في حادث الزاوية الحمراء التي قتل فيها عشرات الأقباط بسبب فتنة طائفية، ثم تصاعد الصراع بين البابا شنودة والرئيس السادات وبلغ ذروته حين قرر الرئيس تحديد إقامة البابا وعدد من الأساقفة في دير الأنبا بيشوي بوادي النطرون عام ١٩٨١، وعقد السادات لقاءا شهيرًا مع القمص متى المسكين، قال المسكين إنه حاول من خلاله تهدئة الأمور إلا أن البابا شنودة رأى إنه زادها تعقيدًا، وفقا لما يذكره كل منهما في مذكراته الخاصة التي نشرت عقب وفاتيهما.

فضلاً عن رفض البعض الآخر لتصريحاته عن عدم وجود اضطهاد للأقباط في مصر وغيرها من آراء كالتي وردت في كتاب "الكنيسة والدولة" للقمص متى المسكين، الذي تضمن حديثًا عن تدخل من "الكنيسة القبطية" في السياسة وهو أمر مرفوض بالنسبة لأفكار المسكين.

ومنذ 1981 استمر الخلاف وشبه القطيعة بين رأس الكنيسة وبين الأنبا متى، حتى جمعهما دير أبو مقار لساعات، وذلك حين زاره البابا شنودة عام 1996، قبل عشرة أعوام من رحيل متى المسكين، تاركًا خلفه إرثًا من النقاشات والمؤلفات والأفكار التجديدية التي حملها تلاميذ كان منهم الأنبا إبيفانيوس، الذي لحق بالمعلم قبل أيام، وبعد 34 سنة عاشها في كنف الدير نفسه، الأنبا مقار.

في مسرح الجريمة

دير الأنبا مقار هو المسرح الذى شهد أحداث الصراع بين "المسكين" والبابا شنودة، إذ قرر الأول قضاء ما تبقى من حياته في هذا الدير بين تلاميذه ورهبانه وذلك بعدما عاد البابا شنودة للكاتدرائية وانتهت فترة تحديد إقامته عام 1985 في بدايات عصر الرئيس مبارك.

كان دير القديس الأنبا أبو مقار أقرب للمستقل فكريًا وإداريًا عن الكنيسة، يرتدى رهبانه ملابس رهبانية مختلفة، يقرأون ويترجمون ويصدرون كتبًا تترجم لعدة لغات، ويعلن البابا شنودة خلافه معهم علنًا حين يجيب عن أسئلة في عظاته يقول في إحدى التسجيلات إن المحبة لا بد وأن تكون متبادلة وإنه قدم المحبة للدير ورهبانه دون جدوى"، ثم بدأ البابا شنودة الرد على كتب القمص متى المسكين في محاضراته بالكلية الإكليريكية، وانخرط الأنبا بيشوى مطران دمياط وكفر الشيخ في سلسلة للرد على كتاباته منهما إياه بإفساد العقيدة.

وطوال عصر البابا شنودة كانت كتابات القمص متى المسكين ممنوعة كنسيًا، فلا تباع في مكتبات الكنائس ولا توزع إلا في دير الأنبا مقار، حتى أن معرضًا للكتاب القبطي بالكاتدرائية قد شهد مصادرة الكنيسة لجميع من كتب متى المسكين من جناح المعروضات بناءًا على توصية الأنبا موسى أسقف الشباب الذى كان ومازال مسئولًا عن هذا المعرض.

بينما كان البابا شنودة ينعم بشعبيته الجارفة لم يتوقف عن النيل من القمص متى المسكين في عظاته الأسبوعية بالكاتدرائية التي كان يفتح فيها الباب للإجابة على أسئلة شعب الكنيسة، إذ سأله أحد الحاضرين ذات مرة قائلًا: "لدى شوق للرهبنة وأفكر في الانضمام لدير الأنبا مقار بوادى النطرون فما رأى قداستك؟ فما كان من البابا شنودة إلا أن أجاب قائلًا: إن روحت هناك ستتعب وتخرج من الدير وترجع إلى مرة أخرى، فأحسنلك "دور على دير تانى وخدها من قصيرها"، "عدد الذين خرجوا من هذا الدير وعادوا إلى 52 واحد مكتوبين عندى بالاسم منهم من جاء سليمًا ومنهم من يعالج في بيهمن ويقصد مصحة الطب النفسى بحلوان، أو لدى الدكتور النفسى رجائى دانيال ومنهم من أصبح مريضًا عقليًا ومنهم من ترك الرهبنة نهائيا ومنهم من لا أعرف أين يوجد، وفى منهم من هو عندى في دير الأنبا بيشوى، أنت يا ابنى وعلى رأى المثل ابحث عن الرفيق قبل الطريق، المسألة ليس بالمكان بل بالحياة".

كان دير الأنبا مقار يشكل صداعًا في رأس البابا شنودة باعتبارها مقرًا

الخارجين عليه يتلمذون على يد خصمه اللدود، يقدمون آراءًا عقائدية تختلف عما استقرت عليه الكنيسة وعما يريده هو أن يستمر باعتباره مصدرًا وحيدًا للاهوت فلم يستسلم لتلك الفكرة ولجأ لنظرية ذهب المعز وسيفه في التعامل مع هذا الدير، ويعترف أحد شيوخ الرهبان بدير الأنبا مقار ممن عاصروا القمص متى المسكين، بأن هناك طائفة من الرهبان تركت الدير بعدما لم يستطيعوا احتمال نظام الحياة الرهبانية الصارم الذي وضعه القمص متى المسكين مؤسس التيار الأبائي في الكنيسة، فالرهبنة وفقًا للراهب الشيخ هي رهبنة الكفن، وعلى طريقة رهبان القرون الأولى الذين كانوا يكتفون بكسرة خبز وبعض ماء تقيهم شر الموت، يعبدون الله في مغارات صحراوية يبحثون عنه في كل الدروب، يترجمون الكتب، ويصدرون الأبحاث ويتأملون فيما تركه الله لهم من نعم في الكون.

يقول الراهب الشيخ أن نعم هناك ما يقرب من 30 راهبًا غادرونا منهم من ذهب إلى دير الأنبا بيشوى المجاور الذي كان يقيم فيه البابا شنودة ومنهم من ترك الرهبنة وهو أمر لا يعيب الدير في شيء بل يشرفه فالرهبنة ليست لكل أحد.

يشير الراهب الشيخ إلى ما كان يجرى من إغراءات للرهبان الخارجين عن طاعة القمص متى المسكين الأب الروحي لدير الأنبا مقار، "فقد كانوا يذهبون لدير الأنبا بيشوى ويوعدون بترقي لمناصب كنسية عليا أو برتب أسقفية أو بنيل درجات كهنوتية، وكلها أمور كانت بعيدة كل البعد عن

حياتنا فى دير الأنبا مقار، فقد كنا نبكى إذ رشحوا أحدنا للكهنوت لأنه
منا بالرهبنة دون منصب ودون حاجة لرتبة القس".

بعد وفاة القمص متى المسكين، تقدم عمر القمص كيرلس المقارى وكيل الدير "الربيتة" الذى كان مشرفًا على الدير، ورشحوا عددًا منا للرسامات "التعيينات" لرتب الكهنوت حتى يستطيعوا أن نساعد "أبونا كيرلس" فى الصلاة وإقامة القداسات فلا يحق للراهب أن يرأس قداسًا أو يمارس الأسرار المقدسة، وقد قبل أربعة من الرهبان تلك المناصب مرغمين وباكين وخائفين من بينهم الأنبا إبيفانيوس شهيد الغدر".

فى قوائم الرهبان الذين تركوا الدير وذهبوا لدير الأنبا بيشوى دلائل على صحة ما قاله الراهب الشيخ، الأنبا بستى أسقف حلوان والمعصرة كان راهبا بدير الأنبا مقار دخل الدير عام 70 وغادره عام 82 وذهب إلى دير الأنبا بيشوى ثم تدرج فى المناصب الكنسية فبعد عام واحد من انضمامه لدير الأنبا بيشوى ترقى لدرجة القس التى كانت شبه محرمة فى دير الأنبا مقار، وبعد عامين صار أمينًا لدير الأنبا بيشوى رغم أنه أحدث المنضمين له من الآباء الرهبان، وبعد عام آخر انتدبه البابا شنودة للإشراف على كنيسة بجاردن سيتى، وفى العام الرابع أصبح مشرفًا على الكلية الإكليريكية، وفى العام الخامس انتدبه لكلية أخرى بالإسكندرية ثم رقاه البابا لدرجة قمص، ومنها إلى سكرتيره الخاص، وانتهى به المطاف إلى منصب أسقف حلوان والمعصرة.

لم يكن الأنبا بستى وحده الذى نال "ذهب المعز" تاركًا سيفه فقد سبقه الراهب أغابيوس الذى كان يخدم مع الأنبا بستى فى مزارع دير الأنبا مقار، ثم غادره إلى دير الأنبا بيشوى ومن هناك صار أسقفًا للسويس باسم الأنبا أغاطيوس وتوفى منذ سنوات، وكذلك الأنبا مكارى أسقف سيناء والعريش الذى غادر الدير ليخدم كقس فى المنيا وبعدها بسنوات توفى لدرجة أسقف سيناء بعدما طلب منه البابا شنودة أن يقضى عامًا فى دير الأنبا بيشوى وتوفى عام 2000.

أما الراهب شيرامون فقد دخل دير الأنبا مقار عام 1975 ثم غادره إلى دير الأنبا بيشوى وترقى هناك إلى درجة قس عام 1984 وظل ست سنوات حتى صار أسقفًا لقنا باسم الأنبا شاروبيم.

كذلك فإن الراهب موسيس الذى دخل دير الأنبا مقار عام 1975 وترك عام 87 أصبح سكرتيرًا للبابا شنودة ثم أسقفًا عامًا باسم الأنبا يوحنا عام 1991، أما الأنبا أشعياء أسقف طهطا فقد سلك المسلك نفسه خرج من دير الأنبا مقار عام 78 قاصدًا دير الأنبا بيشوى وفى نفس العام ترقى لدرجة قس وفى العام التالى حصل على درجة قمص، حتى إذا جاء العام 80 أصبح أسقفًا لطهطا وحمل اسم الأنبا أشعياء، بينما انتدبه البابا شنودة للخدمة فى استراليا خلال عامى الترقيات.

فيما تمكن الراهب لاونديوس الذى انضم لدير الأنبا مقار عام 77 من التلاميذ النجباء الذين استطاعوا تعلم اللغة اليونانية كغالبية رهبان

دير الأنبا مقار، حيث استقدم القمص متى المسكين مدرسًا ليعلمهم لغة البحث في العلوم اللاهوتية، ثم غادر لاونيدوس ديره قاصدًا دير الأنبا بيشوى بعد ثلاث سنوات أى عام 80 وكلفه البابا شنودة بتأسيس إيبرشية قبطية في اليونان مستغلا طلاقته في اللغة التى فهمها وكتب بها، وظل هكذا يؤسس الكنائس ليصبح بعدها أول أسقف مصرى في اليونان إلا أن وفاة البابا شنودة أجلت رسامته أسقفًا، وتم له ذلك بيد البابا تواضروس في بداية عهده عام 2013، وحمل اسم الأنبا بافلوس، وكذلك فعل الراهب بوليكاربوس الذى ترك الدير عام 86 بعد سبع سنوات وذهب للخدمة في اليونان مستغلًا اللغة التى تعلمها بين أسوار أبومقار.

بعد وفاة القمص متى المسكين وتحديدًا في العام 2009، كان دير الأنبا مقار على موعد مع حدث جديد يغير خريطته للأبد، فبعد وفاة القمص المسكين بثلاث سنوات، زار البابا شنودة دير الأنبا مقار في زيارة تاريخية، وأقدم لأول مرة في تاريخ الكنيسة الحديث على تغيير "الزى الرهباني" لرهبان لدير "أنبا مقار"، ليتم توحيده مع بقية الأديرة، ليكون بمثابة الإعلان الختامي لانتهاء استقلالية دير "أنبا مقار"، عن الكنيسة، وتم تخيير الرهبان بين ارتداء غطاء الرأس التقليدي "القلنسوة المشقوقة" وبين الإبقاء على ملابسهم، فمنهم من ارتداها فصار تابعًا للبابا شنودة ومنهم من رفض، ثم قرر الأنبا ميخائيل مطران أسيوط والرئيس التاريخي للدير الاستقالة من منصبه إذ قيل وقتها إنه غير مرحب بقرار الكنيسة إنهاء استقلالية هذا

الدير إداريًا وفكريًا عنها، وقد كان، فقد نجحت الكنيسة فى السيطرة على أملاك الدير، ثم سيطرت على أغلب رهبانه أو أرغمتهم على الخضوع قبل حلول الذكرى الثالثة لرحيل المسكين بشهر.

كانت جميع إصدارات الدير والتى تعد بالآلاف طوال حياة متى المسكين تتصدرها صورة للمسيح وأسفلها التعليق التالى "الرب يسوع المسيح رئيس الكهنة الأعظم، الأسقف الكبير ورئيس الأساقفة والأول فى طغمة الكهنوت ورأس الكنيسة" وهو التعليق المقصود بكل وضوح لتبرير الامتناع عن نشر صورة البابا بوصفه رئيس الأساقفة، ثم صدر كتاب عن الدير لأول مرة عام 2009 تتصدره صورة البابا شنودة.

بعد تلك الزيارة بعدة أشهر، كتب القمص كيرلس المقاري الذى كان يتولى منصب وكيل الدير "الربيتة" عدة رسائل للبابا شنودة جاء فى رسالة مؤرخة بيوم 2 أكتوبر عام 2009، "وصلتنا أخبار أزعجت نفوسنا أن قداستكم قررت تغيير شكل وحياة الرهبنة فى دير الأنبا مقار وكنا نتمنى أن قدومك إلينا سيثبت حياتنا الرهبانية التى استلمناها من أبينا القمص متى المسكين لمدة خمسين سنة، وعرف فى العالم المسيحى أن هذا الدير صار منارة للحياة الرهبانية الآبائية الأصيلة وفخرًا للكنيسة القبطية العريقة ولكل بلادنا المصرية، لقد تحول الدير الآن إلى ملعب لعمل الشياطين وفقدنا السلام، وفى كل مرة تأتى إلينا، نسمع شائعات أن غبطتكم سوف تختار أسماء من رهبان مرفوضين شكلًا وموضوعًا فالبعض يحتاج لعلاج نفسى والبعض

الأخر يسعى ليصل إلى رئاسة الدير وغبطتكم تعلمون جيدًا أن الذى يريد أن يكون الأول يجب أن يكون الأخير فما بال قداستكم فى الحياة الرهبانية وفى دير شبه مغلق، كيف يحتملون بعضهم بعضًا حيث الجهاد الداخلى مطلوب مع التواضع الشديد وإنكار الذات حسب الوصية علما بأن النظام الرهبانى فى دير القديس الأنبا مقار يعتمد على المواهب فالذين يعملون فى الزراعة يديرون أعمالهم بالاستعانة بدكاترة الأبحاث الزراعية والذين فى الإنشاءات وأعمال الصيانة يهتمون بالأعمال المطلوبة لخدمة الدير وهكذا فى حظيرة البقر ومزرعة الدواجن فلهم دكتور خبير من الآباء".

"نتوسل إليك يا سيدنا أن تنقذنا من الخراب الآتى علينا، وماذا يكون الأمر هل يترأس الأب الجاهل فى أى موقع على المتخصص؟ هل تريدهم يا سيدنا أن يحتكوا ببعضهم البعض؟ أليس هذا هدم للحياة الرهبانية؟ هل ترضى لدير الأنبا مقار مكان الصلاة الدائم أن ينهار فى عهدكم؟ وهل توافق على رسامة رهبان الدير كلهم كهنة؟ رغم أن هذا لا يوافق سلوكك الأول فى حياتك الرهبانية إذ كنت تغضب جدًا حين يعرضون الكهنوت على أحد الآباء؟ علما بأن المرسومين كهنة كانوا مطلوبين بالاسم من الأساقفة الأفاضل للخدمة معهم، فقد طلب الأنبا ميخائيل مطران أسيوط اثنين من الرهبان ليخدموا معه وأنبا ارسانيوس مطران المنيا طلب اثنين ليخدموا معه وأنبا انطونيوس مرقس طلب لأفريقيا أربعة رهبان ورسم اثنين للخدمة فكانت رسامة الكهنوت لهم للخدمة خارج الدير

وليس لإغاظة وإثارة الحسد داخل الدير".

"أما زيارة الزوار فقد كانت فى حدود هدوء الدير وسلامته هل ترضى يا سيدنا أن يتحول الدير من مكان صلاة وعمل إلى مكان من أجل النزهة؟، فنصف الزوار تقريبا أطفال يصرخون، غير السيدات اللاتى يجرين وراء الرهبان للاعترافات حيث كان ذلك ممنوعًا حتى يحتفظ الدير الراهب بسلامة ضميره داخل قلايته، أما الجرائد فكان يتصفحها المكلفون بتشهيل أعمال الدير وينزلون إلى العالم".

"أنقذ يا سيدنا الحياة الرهبانية الفاضلة البعيدة عن المشاكل، الراهب إذا نزل إلى العالم ينزل لتدبير أمر هام ويرجع مسرعا إلى قلايته حتى لا تبرد محبته لله وتفسد رهبانيته"، متسائلا: "هل يرضيك يا سيدنا أن يغيب الراهب يوم واثنين وثلاثة وأربعة ولا نعرف أين ذهب؟، نحن لسنا فى سجن نحن نحمل محبة هذا الدير ومن لا يتحمله نوصله للدير الذى يحبه ويشتاقه بسيارة الدير ونعطيه المال اللازم حتى لا تتولد أية كراهية أو نفور بين الرهبان".

"الذين يأتون للحياة الرهبانية يعرفون إنهم أمام طريق مغلق أمام الشهوات ومراكز الكنيسة وأراحوا انفسهم من حروب قاتلة، ولماذا يا سيدنا تريد أن تجعل كل الأديرة نظامًا واحدًا مع أنه على مدى العصور كان كل دير يأخذ شكلًا خاصًا به فرهبنة دير المحرق غير رهبنة القديس مكاريوس، غير رهبنة مارمينا، الحياة الرهبانية غير ملتزمة إلا بالمحبة".

"نرجوك يا سيدنا أن توقف تلك الشائعات المزعجة فنحن مازلنا نصلي من أعماق قلوبنا لكي يعطيك الرب حكمة سليمان وأن يكون حضورك للدير عيد روحاني نفرح به، انقذ يا سيدنا رهبانية هذا الدير العظيم ولا تسمح بتخريب هذه الحياة لئلا يكون غضب الله علينا جميعًا".

بعد شهور من تلك الرسالة زار البابا شنودة دير أبو مقار مرة أخرى ورسم (عين) دفعة جديدة من الرهبان تبلغ 10 رهبان،، ورقى آخرين لدرجة القس، وفى صلوات طقس الرسامة يعظ البابا شنودة فى الرهبان المترقين ويبرر الأسباب التى دفعته لرسامة كهنة فى دير الأنبا مقار فيقول "من ضمن الأسباب اللّى خلتنى أرسم كهنة فى دير أبومقار، إن إحنا نستخدم الكنائس والمذابح الموجودة فى الدير، مش أصول يبقى عندنا كل هذه الكنائس ومش لاقية حد يصلّى عليها، هنعمل جدول للصلاة فى الكنائس دى"، كان حديث البابا محاولة لتفسير سبب إقدامه على تلك الخطوة، حيث كان رهبان دير الأنبا مقار يمتنعون عن المناصب الكنسية ولا يحبونها ولا يقربوها، بينما حصد من تبعوه ذهب المعز مرة أخرى.

تبرز ثلاثة أسماء رئيسية فى قائمة الـ20 التى رقى البابا شنودة 10 منها لدرجة القس وأدخل الـ10 الآخرين للرهبنة، وهى القائمة التى تسمى بالرهبان الشنوديين، بالإضافة إلى آخرين عاصروا القمص متى المسكين وكانوا دائمى الخلاف معه، لينقسم الدير بعد تلك الزيارة والترقيات إلى فريقى الرهبان المتاوين والرهبان الشنوديين ممن يصغرون تلاميذ متى المسكين

سنا، بالإضافة للمنضمين لهم من معارضي متى المسكين في حياته.

يظهر اسم إشعياء المقاري الذي أدخل للرهبنة عام 2010 بيد البابا شنودة على رأس قائمة الرهبان الشنوديين، وهو المتهم الرئيس بقتل الأنبا إيفانيوس، يليه شريكه في القضية نفسها الراهب فلتاؤس المقاري، ثم يأتي القس يعقوب المقاري الذي تم تجريده من الرهبنة بعدما أسس ديرًا بتكليف من البابا شنودة واستقل به عن الكنيسة عقب وفاة البابا الراحل حين رفض الانصياع والطاعة للجان الكنسية المتعددة التي أرسلت له، بالإضافة إلى زينون صاحب الوفاة الغامضة في الدير المحرق بعد نقله له وقد كان ممن ترقوا لدرجة القسيس جوار يعقوب وفي نفس الصلاة.

أثناء حركة الترقيات تلك، نما إلى علم، الأنبا ميخائيل مطران أسيوط الذي كان يرأس الدير تلك الأخبار، وشعر أن رئاسته للدير لا قيمة لها بعد استيلاء البابا شنودة عليه وتقسيمه بهذا الشكل، فما كان منه إلا أن قدم اعتذارًا عن رئاسته للدير مكتفيًا بخدمته كمطران لأسيوط خاصة وأنه لم يبرح إيبراشيته طوال مدة خدمته فلم يسافر كباقي الأساقفة للعلاج خارج مصر، وغاب كثيرًا عن جلسات المجمع المقدس لظروفه الصحية، إلا أن الرهبان عادوا وتوسلوا له ألا يتخلى عن الدير تمامًا وأن يحاول إصلاح ما جرى وظل الأمر معلقًا هكذا حتى توفي البابا شنودة وجاء البابا تواضروس إلى سدة كرسي مارمرقس مقررًا أن ينتخب رئيسًا جديدًا للدير الأزمة.

عام 2013، قرر البابا تواضروس تعيين أساقفة جدد، وكان الأنبا ميخائيل

رئيس دير الأنبا مقار في أيامه الأخيرة بدأ في التسعينات من عمره، جلس البابا تواضروس مع رهبان الدير أكثر من مرة ليختار رئيسًا لهم، وقد كانت الانقسامات بلغت حدًا واسعًا بين مدرستي متى المسكين والبابا شنودة.

ترشح لرئاسة الدير ثلاثة من الآباء الرهبان، قال البابا وقتها، إن المرشحين الثلاثة كانوا من بين اختيارات الرهبان، إلا أن القليل من البحث يكشف إنهم من اختيارات البابا نفسه، ثلاثة أسماء من الرهبان الشيوخ "الراهب إبيفانيوس المقاري" والراهب الراهب إيسيذوروس، الراهب بترونيوس".

الراهب ايسوذوروس المقارى، على سبيل المثال، كان الرجل الذى فوضه البابا وكلفه بدور المرشد الروحي لأزمة دير "وادي الريان بالفيوم" التي شغلت الرأي العام المصري والكنسي، طوال العامين الماضيين.

وهكذا ترشح لرئاسة الدير ثلاثة من الآباء من مدرسة متى المسكين، سكان الدير الأصليين، الذين إن حظوا بالعلم والقبول، فلن يتمكنوا من فك الألغام المزروعة في الدير كنتيجة للصراع القديم ما بين البابا شنودة والقمص متى المسكين.

حصل الأنبا إبيفانيوس على غالبية أصواتهم مثلما ذكرت الكنيسة رسميا، إلا أن مصادر من آباء الدير تؤكد أن الأنبا إبيفانيوس قد حصل

على عالية أصوات الآباء المنتمين لمدرسة متى المسكين الرهبانية وليس كافة آباء الدير الذين امتنع عدد غير قليل منهم عن التصويت لأي من الأسماء الثلاثة المطروحة.

كان أول ما أوصاه البابا تواضروس للأنبا إبيفانيوس وقت رسامته "لم شمل الدير" بعد تلك الخلافات التي استمرت من 2009 وحتى 2013.

الأنبا إبيفانيوس.. الأسقف المغدور

فى العام 1984، حين بدأ الانبا ابيفانوس حياته الرهبانية، كان البابا شنودة بطريرك الأقباط آنذاك قيد الاعتقال فى دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون، حين قرر الطبيب الشاب الذى صار بعد ذلك القس إبيفانيوس الانضمام لحركة التعمير الرهبانية التى قادها القمص متى المسكين فى الفترة من عام 1969 وحتى وفاته عام 2006 وهى نفس الفترة التى شهدت الخلاف التاريخى الشهير بين البابا شنودة والقمص متى المسكين بعدما استدعى الرئيس السادات الأخير ليعرض عليه منصب البابوية فى غضون خلافه مع البابا شنودة.

كان دير الأنبا مقار المعروف باسم "أبو مقار" ببرية شيهيت، متروكًا خاليًا من رهبانه إلا قليلًا فلم يكن فيه الكثير من الرهبان ومبانى الدير توشك أن تتساقط، فى تلك الفترة قصد الأنبا ابيفانوس الدير راهبًا يكتب ويؤلف ويتعلم من القمص "المسكين" الذى أعاد إحياء الرهبنة في الدير

من جديد، و كانت حركة الترجمة من كافة اللغات الأوروبية، قد انحسر طريقها إلى الدير الذى يضم مطبعة لا تتوقف عن العمل، بفضل نشاط رهبانها وتفقههم فى أمور الدين، وتواصلهم مع الكنائس الأخرى وباللغات المختلفة.

عرف الأنبا إبيفانيوس بحسن تلمذته، فقد كان يشرف طوال عقدين على مكتبة المخطوطات والمراجع بكل اللغات فى الدير، وهو من الباحثين النشيطين بالدير، وقد نشرت له مطبعة الدير أوائل إنتاجه العلمى: ترجمة من اليونانية القديمة للعربية: سفر التكوين، والقداس الباسيلى، وحينها كان جاريًا نشر سفر الخروج، والقداس الغريغورى، والكتاب التاريخى القديم "بستان الرهبان".

فى العام 2006 غادر القمص متى المسكين إلى دار الآخرة، وظل الدير يخضع لإشراف المطران الأنبا ميخائيل مطران أسيوط، واستمر الوضع كذلك حتى إذا جاء العام 2013 كان المطران قد تعب من مقاومة أمراض الشيخوخة وتقدم فى العمر حتى بلغ الـ93 وزادت مشاكل وأعباء الدير، فجدد طلبه القديم وكتب للبابا تواضروس الذى كان قد وصل لتوه لكرسى البطريركية وقتها، أن يعفيه من مهام الإشراف على الدير البعيد عن مقر إقامته بأسيوط، وأن يوكل المهمة لأحد الآباء من رهبان الدير.

فى يوم الأحد الثالث من فبراير من العام 2013، كان الأنبا ابيفانوس على موعد جديد مع الخدمة الكنسية، سيقرر الدير أن يجرى اقتراعًا سريًا

لانتخاب رئيس له، وكان الأنبا ايفانوس مرشحًا للمنصب مع اثنين من إخوته الرهبان، الراهب إيسيذوروس، والراهب بنوتيوس وبناءًا على نتيجة الاقتراع أعلن البابا تواضروس أن الأب الراهب القس إيفانيوس القارئ قد حصد ثقة إخوته الرهبان بأغلبية الأصوات، وحظى هذا الاختيار بقبول ومباركة الأنبا ميخائيل مطران أسيوط ورئيس الدير منذ حوالى 63 عامًا، وذلك بتزكية مكتوبة استلمها الراهب إيفانيوس باليد من الأنبا ميخائيل، وسلّمها بدوره إلى البابا تواضروس.

عام 2016 احتفى دير كاثوليكي شهير في إيطاليا بذكرى الأب متى المسكين وبالتغيير الذي أحدثه في تاريخ الكنيسة القبطية ومستقبلها، وألقى الأنبا إيفانيوس كلمته إذ اعتبر كتابات الأب متى المسكين أحدثت تغييراً ملحوظاً بمجال التعليم في الكنيسة القبطية مرجعًا السبب الحقيقي وراء هذا التغيير، إلى أنَّ الأب متى المسكين لم يتتلمذ على اللاهوت القبطي المعاصر أو المستحدث الذي كان منتشراً في ذلك الوقت؛ إذ أنه بتدبيرٍ إلهي، حسب تعبيره، حصل على مجموعة كاملة لأقوال الآباء مُترجمة إلى اللغة الإنجليزية، فقرأها بنهَمٍ، فانطبع فكر الآباء على تفكيره، واصطبغت حياته بسِيَرِ قدّيسي الكنيسة، فخرجت كتاباته لها طعم كتابات آباء الكنيسة الأوائل، وهو الخطاب الذي أثار جدلا واسعا بين أوساط التيار الكنسي المتشدد وقتها.

لم تمنع شئون رئاسة الدير، الأنبا إيفانيوس عن شغفه بالبحث العلمي

والكتابة والتأليف فقد ظل حريصًا على ذلك يحاضر فى مؤتمرات هنا ويقدم أوراقًا هناك، فقد كان آخر ما حضره مؤتمر التراث العربى المسيحى بكلية اللاهوت الإنجيلية فى أبريل الماضى، وقدم ورقة بحثية فيه.

فى مايو الماضى، حيث عقد اجتماع المجمع المقدس الأخير للكنيسة القبطية، وهو المجمع الذى شهد قرارات تاريخية وتغييرات هيكلية فى المناصب الكنسية قد تؤثر على مستقبل الكنيسة إيجابًا وعلى علاقاتها بالكنائس الأخرى، كان الأنبا إيفانيوس على موعد مع منصب كنسى جديد إذ عينه البابا تواضروس مراقبًا للجنة البابوية للحوار إيمانًا من البابا بقدرات "إيفانيوس" ومدرسة متى المسكين الرهبانية فى التقارب مع الكنائس الأخرى إذ كان الأب متى المسكين أول من قرأ كتابات آباء الكنائس الأخرى وعلى يده بدأت حركة ترجمة كتابات القديس غريغوريوس الكبير، والقديس يوحنا الدمشقى، والقديس ساروفيم ساروفسكى، مما فتح للأقباط نافذة جديدة على المسيحية العالمية، وغير نظرة الأقباط لتلك الكنائس من العداء إلى القبول والمحبة.

كان الأنبا إيفانيوس، أسقفًا مختلفًا بحق فقد كان يكتفى بارتداء جلباب أسود وشال فوق رأسه، دون أن يمسك عصا الرعاية التى تميز الآباء الأساقفة، يرفض أن يدخل الكنيسة على اللحن المخصص للأسقف، وهو يخشى أن تثير تلك المظاهر فى نفسه مشاعر العظمة فتبعده عن رهبانيته التى ارتضى فيها بحياة الفقر الاختيارى، لم يكن الأنبا إيفانيوس كالأساقفة الذين

يرتدون الملابس الفخمة ويركبون السيارات الفارهة، يأكلون من تبرعات شعب الكنيسة ويسيرون بين الناس بزهو ملحوظ، فقد كان يترفع عن عادة تقبيل الأيدي والأقدام التي يقدمها الأقباط طوعًا لكل القساوسة فيما بالنا بالأساقفة، بل ويرفض أن يناديه تلاميذه بـ"سيدنا" وهو اللقب المخصص للأساقفة مكتفيا بالقول "أنا أبونا إيفانيوس"، إلى جانب خدمته في الدير كان الأنبا إيفانيوس يُدرس دبلومة التراث العربي المسيحي بكلية اللاهوت الإنجيلية وهي الدبلومة التي يسمح فيها بدراسة المسلمين والأقباط معا وقد حظي بمحبة واحترام الجميع لعلمه الغزير وتواضعه المفرط وسماحته الملحوظة حتى أن خبر وفاته قد أبكى قيادات الطوائف المسيحية الأخرى وليس الأرثوذكس وحدهم بعدما ذهب الرجل الذي كان يمثل لهم أملًا دائما ومتجددًا في التقارب الفكري تحت اسم كنيسة المسيح الواحدة.

الجريمة

ما بين الثالثة والرابعة صباحًا، كان الأنبا إبيفانيوس مستلقيًا فى قلايته "مسكن الرهبان"، يستعد للخروج ليترأس صلاة قداس الأحد فجر التاسع والعشرين من يوليو الماضى، ثم وضع شاله الأسود فوق رأسه وعدل من وضع جلبابه وارتدى حذائه، وغادر فى طريقه إلى الكنيسة وبينما كان يمشي بمشيته الهادئة، استقبلت رأسه ثلاث ضربات قاتلة من الخلف، هشمت جمجمته وفصلتها نصفين حتى أن مخه سقط على الأرض إلى جواره بينما خضب الدم جلبابه الأسود.

بعدها بدقائق، خرج أحد الرهبان من قلايته ليشارك فى صلاة القداس حتى وجد الأنبا إبيفانيوس غارقا فى دمائه، فصرخ واستدعى بقية الرهبان الذين حاولوا نقل الأسقف المغدور إلى عيادة الدير إلا إنه قد فارق الحياة فعملوا على نقل جثته إلى هناك، وبدأوا فى الاتصال بالبابا تواضروس،

في البداية، تسرب خبر وفاة الأنبا إيفانيوس لصفحات مواقع التواصل الاجتماعي وبدأ الأقباط ينعونه منذ التاسعة صباحًا إلا أن بعض رهبان الدير كانوا يميلون في البداية للتغطية على أمر الحادث حتى أن أحدهم قال أن الأسقف سقط وتعرقل في "ترابزين السلم" وتوفي في الحال، إلا أن بعضهم قد أبلغ البابا تواضروس الذي كان وقتها في دير الأنبا بيشوي بوادي النطرون وقرر إرسال سكرتيره القس انجيلوس إسحق لمقر الدير على الفور، بينما تواصل البابا بنفسه السلطات المختصة وطلب التحقيق في الأمر دون تهاون.

هزت جريمة الدير الكنيسة كلها، وبعد ساعات من مقتله بدأ الآباء الأساقفة التوافد على مقر الدير للاطمئنان على الموقف والاستعداد لصلوات الجنازة بينما وصل رجال الأمن والنيابة والمباحث وأغلقوا الدير مانعين الخروج منه أو الدخول إليه وبدأت سلسلة موسعة من التحقيقات مع 145 راهب بالدير استغرقت أسابيع حتى تم الإعلان عن أسماء الراهبين المتهمين.

الجنازة الحارة

صباح الثلاثاء الواحد والثلاثين من يوليو، كانت مصلحة الطب الشرعى قد انتهت من تشريح جثمان الأنبا إيفانيوس، وأرسلته إلى دير الأنبا مقار ليدفن هناك، وانتقل البابا تواضروس من دير الأنبا بيشوي إلى دير الأنبا مقار ليودع صديقه ومستشاره القريب الأنبا إيفانيوس فى صلاة جنازة مهيبة، إلا أن الدير اضطر إلى غلق الصندوق دون تقليد نظرة الوداع الكنسي الذى يودع فيه شعب الكنيسة المتوفى إذا كان من ذوي المناصب الكنسية ويطلبون منه البركة، ظروف التشريح لم تترك فى جثمان الأنبا إيفانيوس ما يصلح للوداع.

كانت علامات الحزن والتأثر قد كست وجه وملامح البابا تواضروس الذى شهد عصره أكبر وأخطر جريمة اغتيال داخل أسوار الكنيسة فى العصر الحديث، وقد أخذ فى تقبيل صندوق الأنبا إيفانيوس بعيون دامعة،

إلا أن البابا استغل فرصة الجنازة وقرر فى عظته توجيه عدة رسائل لأطراف متعددة.

ظهر صوت البابا مرتعشًا من أثر الحزن والبكاء حين قرأ الناجيل الصلاة حتى إذا جاء دوره فى الوعظ أثناء الصلاة اعترف باهتزازه شخصيًا وقال: "أمام هذا المصاب الجلل لا يهتز إيماننا بالله ضابط الكل، هو الذى يضبط الحياة وهذا المصاب هزنى أنا شخصيًا، والأنبا إبيفانيوس نموذج مشرق، فقد كان كوكبًا مضيئًا، وهو أول أسقف يقام فى عهدى، كنت أسترشد به كثيرًا في قراراتي فقد كان غزير المعرفة ولم تكن معرفته سطحية في كل دراساته وحياته والمخطوطات التي يحققها كان عميق المعرفة وكنت أكلفه بحضور المؤتمرات ليمثل الكنيسة فقد كلفته بـ20 مؤتمرا في 5 سنوات ليمثل فيها وجه الكنيسة القبطية ويمثل مصر واستضاءت بمعرفته الأرض، فقد كان غزير المعرفةيقيم حلقات دراسية للرهبان والراهبات ويتعلم الآباء الكثير منه ويرشدهم ويجيب على الأسئلة وجعل المعرفة في متناول كل الناس

، فقد كان نموذجًا وقامة واحتل هذه المكانة وكان يشرف الكنيسة القبطية أمام كنائس العالم"، "أنتج كتبًا كثيرة وطبعها الدير في مجالات معرفية مختلفة، زرت هذا الدير بعد تعيينه وقضيت يومًا في رحاب الآباء الأحباء ونفتخر بهذا الدير، قلما نجد هذا النوع من الآباء الأساقفة، وكان يتمتع بالبساطة في ملبسه ومسكنه وطعامه فقد كان بسيط الحياة جدًا وكان يفضل الجلوس في الصفوف الأخيرة"

من جديد، و كانت حركة الترجمة من كافة اللغات الأوروبية، قد أخذت طريقها إلى الدير الذى يضم مطبعة لا تتوقف عن العمل، بفضل نشاط رهبانها وتفقههم فى أمور الدين، وتواصلهم مع الكنائس الأخرى وباللغات المختلفة.

عرف الأنبا إبيفانيوس بحسن تلمذته، فقد كان يشرف طوال خدمته على مكتبة المخطوطات والمراجع بكل اللغات فى الدير، وهو من الباحثين النشيطين بالدير، وقد نشرت له مطبعة الدير أوائل إنتاجه العلمى: ترجمة من اليونانية القديمة للعربية: سفر التكوين، والقداس الباسيلى، وحينها كان جاريًا نشر سفر الخروج، والقداس الغريغورى، والكتاب التاريخى القديم "بستان الرهبان".

فى العام 2006 غادر القمص متى المسكين إلى دار الآخرة، وظل الدير يخضع لإشراف المطران الأنبا ميخائيل مطران أسيوط، واستمر الوضع كذلك حتى إذا جاء العام 2013 كان المطران قد تعب من مقاومة أمراض الشيخوخة وتقدم فى العمر حتى بلغ الـ93 وزادت مشاكل وأعباء الدير، فجدد طلبهالقديم وكتب للبابا تواضروس الذى كان قد وصل لتوه لكرسى البطريرك وقتها، أن يعفيه من مهام الإشراف على الدير البعيد عن مقر إقامته بأسيوط، وأن يوكل المهمة لأحد الآباء من رهبان الدير.

في يوم الأحد الثالث من فبراير من العام 2013، كان الأنبا ابيفانوس على موعد جديد مع الخدمة الكنسية، سيقرر الدير أن يجرى اقتراعًا سريًا

عقب القداس تقدم البابا نواضروس رفقة الرهبان التى اقادت الام إيفانيوس حتى قبره، وقرأ البابا نواضروس الوصية التي تركها الأسقف الراحل وجاء فيها: تركها الأسقف لتلاميذه وإخوته من الرهبان وجاء فيها:

لا تتوانوا عن خدمة الله

اتعبوا في الصلاة

احفظوا ألسنتكم من الوقيعة

أطلب إليكم يا أولادي الأحباء

احفظوا أجسادكم طاهرة للرب ولا تتركوا مصابيحكم تنطفئ

واصنعوا مخافة الله في قلوبكم

الله يشهد إني لم أخف شيئًا عنكم من علم الله

اسألوا المسيح ألا يحاسبني على الزلات

وها أنا الآن رحلت عنكم ولم أعد أرى وجوهكم وصلوا من أجلي في القداسات، وأسال المسيح أن يقيم لكم راعيًا يسوس أموركم ويرعاكم"

قرارت البابا الغاضبة

بعد دفن الأنبا إبيفانيوس، كان الغضب قد بلغ من البابا حدًا كبيرًا فاستدعى لجنة شئون الرهبنة التى تدير أمور الرهبنة والأديرة بالمجمع المقدس وقرر إصدار عدة قرارات حاسمة عرفت باسم القرارات الإثنى عشر لضبط الرهبنة، وقد رأى البابا أن الرهبنة القبطية قد شابها حالة من التسيب أبعدتها عن جوهرها الأصلي وذهبت بها لمآلات غامضة.

وقد كانت تلك القرارات كالتالى:

1 - وقف رهبنة أو قبول أخوة جدد فى جميع الأديرة القبطية الأرثوذكسية داخل مصر لمدة عام يبدأ من أغسطس 2018 م.

2 - الأماكن التى لم توافق البطريركية على إنشائها كأديرة سيتم تجريد من قام بهذا العمل من الرهبنة والكهنوت والإعلان عن ذلك، مع عدم السماح بأى أديرة جديدة إلا التى تقوم على إعادة إحياء أديرة قديمة، ويتم

ذلك من خلال رعاية دير معترف به (عامر).

3 – تحديد عدد الرهبان فى كل دير بحسب ظروفه وإمكانياته وعدم تجاوز هذا العدد لضبط الحياة الرهبانية وتجويد العمل الرهباني.

4 – إيقاف سيامة الرهبان فى الدرجات الكهنوتية (القسيسية والقمصية) لمدة ثلاث سنوات.

5 – الالتزام بعدم حضور علمانيين "الشعب" على الإطلاق فى الرسامات الرهبانية لحفظ الوقار والأصول الرهبانية الأصيلة.

6 – تستقبل الأديرة الزيارات والرحلات طوال العام باستثناء فترة صوم الميلاد والصوم الكبير فتكون أيام (الجمعة والسبت والأحد) فقط من كل أسبوع، والتحذير من زيارة الأماكن غير المعترف بها وهى مسئولية الإيبارشيات والكنائس.

7 – الاهتمام والتدقيق بحياة الراهب والتزامه الرهبانى داخل الدير واهتمامه بأبديته التى خرج من أجلها ودون الحياد عنها.

8 – كل راهب يأتى بالأفعال التالية يعرض نفسه للمساءلة والتجريد من الرهبنة والكهنوت واعلان ذلك رسمياً:

أ- الظهور الإعلامى بأى صورة ولأى سبب وبأى وسيلة.

ب- التورط فى أى تعاملات مالية أو مشروعات لم يكلفه بها ديره.

ب- الخروج خارج الدير بدون مبرر والخروج والزيارات بدون إذن مسبق من رئيس الدير.

9- لا يجوز حضور الأكاليل والجنازات للرهبان إلا بتكليف وإذن رئيس الدير بحد أقصى راهبين.

10 - إعطاء الرهبان فرصة لمدة شهر لغلق أى صفحات أو حسابات على وسائل التواصل الاجتماعى والتخلى الطوعى عن هذه السلوكيات والتصرفات التى لاتليق بالحياة الرهبانية وقبل إتخاذ الإجراءات الكنسية معهم.

11 - مناشدة جموع الأقباط بعدم الدخول فى أى معاملات مادية أو مشروعات مع الرهبان أو الراهبات وعدم تقديم أى تبرعات عينية أو مادية إلا من خلال رئاسة الدير أو من ينوب عنهم.

12 - تفعيل دليل الرهبنة وإدارة الحياة الديرية الذى صدر من المجمع المقدس فى يونيو 2013 وهى مسئولية رئيس الدير ومساعديه.

لم تكن قرارات البابا تواضروس الماضية تلك إلا جزءا من ورقة تقدم بها الأنبا إبيفانيوس إلى مؤتمر الرهبنة عام 2013 وصدرت ضمن كتيب المؤتمر، فقد كان يرى ضرورة إصلاح الرهبنة حتى إنه اجتمع بتلاميذه من رهبان دير الأنبا مقار بعدما تقدم بتلك الورقة وقال لهم:

"إذا اقتنعنا أن هذا مرض فالعلاج فى يدنا جميعا الكهنوت أو الأموال أو التعاملات زيادة"، ويقصد الاختلاط بالعالم الخارجى، ونطالب كرهبان الكنيسة ببدء حياة جديدة "اللى حصل حصل، كرهبان شربنا كلنا من نفس الكأس ورسمونا كلنا رهبان" ما ذنب الأجيال القادمة، ونبدأ حياة جديدة ونبدأ طقسًا جديدًا كفاية اللى حصل"

"نبدأ فى بعض الأديرة الجديدة حياة رهبانية صحيحة، ونحن سنغير منكم ونقلدكم ما تم تم"، اترسمنا كلنا كهنة نشكر الله ولكن ليه نشرب اللى بعدنا كاس المر اللى شربناه، العلاج فى يدنا جميعا نبدأ حياة رهبانية مع الله بداية من قداسة البابا بتشجيع العودة للأصول الأولى للرهبنة وأعتقد أن كلمة سيدنا البابا أمس بها كل ما نحتاجه من علاج لهذه الأخطاء"

يمكن إصدار قرارات حكيمة ومركزية نخضع لها جميعا كرهبان لإصلاح مسيرتنا، أتمنى أن سيدنا البابا يوقف رسامة الكهنة فإذا تساوى الرهبان جميعا دون رسامات لن تشعروا بالمشكلة صدقونى"

"فى دير أبو مقار عشنا 40 سنة بلا كهنوت ولم يكن لدينا مشكلة صدقونى، ولم نحارب بالكهنوت وكنا فرحين جدًا وإن كانوا يضغطوا على راهب لرسامته قس مكنش بيصلى، رسمونى قسيسًا غصب عنى وبكيت بالدموع أمام المسيح وأقول مش هترسم".

"وقالولى أبونا متى بيغصب عليك لازم تترسم، وقلت مش هصلى

قداسات لغاية ما أبونا كيرلس المقاري نظره ضعف جدًا وشعرت بمسئولية أمام المسيح فابتديت اطبع له الخولاجي (كتب الصلاة) بخط كبير كي يستطيع أن يقرأ وكنا فرحانين ولكن لما بدأ الكهنوت في الزيادة كلنا حاربونا بالكهنوت".

واستشهد بالآية إن لم تبصر لن تشتهي: "لو مشوفناش الكهنوت مش هنشتهي" مضيفًا لكن احنا شوفناه وبقى في حرب جوا الدير عندنا الكل عايز الكهنوت.

"محتاجين قرارات مركزية وحكيمة تخضع لها جميعا من قداسة البابا مرورا بالآباء رؤساء الأديرة والآباء مسئولي الأديرة، والرهبان أنفسهم والخائفين على نقاوة حياتهم الرهبانية".

كان قرار الكنيسة الأول الذي أعلن فيه البابا تحديد عدد الرهبان في كل دير بمثابة انقلاب على تقاليد قديمة بغية إصلاح ما رسبه الزمن من التغيرات في الحياة الرهبانية، ينتسب الراهب إلى ديره ويسمى باسمه فيصير الدير لقبه، على سبيل المثال يحمل رهبان دير أبو مقار أسماءهم القبطية بعد الرهبنة واللقب المقاري، الأنبا إيفانيوس يحمل لقب إيفانيوس المقاري، إذ كان راهبا في دير أبو مقار أما البابا شنودة فكان يسمى انطونيوس السرياني لأنه من أبناء دير السريان، وهكذا إلا أن قرارات الكنيسة الجديدة تعني أن هناك حركة انتقالات بين الأديرة القبطية إذ يعني تحديد عدد الرهبان في كل دير، أن بعض الرهبان سوف يغادرون أديرة ويقيمون بأخرى، ولعل

دير القديس الأنبا مقار هو أحد أهم الأديرة المستهدفة من القرار فسيفض البابا تواضروس الخلافات القائمة بالدير، التى لم ينجح معها الحوار، تعمل الكنيسة على تغيير مواقع الرهبان بالدير الأزمة، عن طريق إرسالهم لأديرة أخرى، واستقبال آخرين بدلا منهم، خاصة وأن بعض القرارات التي اتخذتها لجنة شئون الأديرة كانت من بين التحذيرات التى أطلقها البابا تواضروس في جنازة الأنبا إبيفانيوس حين قال للرهبان "أخرجوا الانحراف من بينكم، أنتم لستم تابعين لأحد بل تتبعون القديس مقار، وكفوا عن الظهور في الإعلام"، وهو ما تقرر رسميًا، وبدأ البابا تطبيق تلك القرارات بتوزيع ستة من رهبان دير أبو مقار على بعض أديرة الوجهين البحري والقبلي.

أما القرار الثاني الذى منعت فيه الكنيسة الرهبان من جمع التبرعات، فيعود إلى تفشي تلك الظاهرة فى السنوات الأخيرة بالشكل الذى جعل بعض الرهبان يتمكن من جمع تبرعات بالملايين وتأسيس أديرة، من بين رهبان دير أبو مقار يبرز اسما الراهبين "يعقوب المقاري" ومرقس المقاري"، إذ أعلن الانبا إبيفانيوس في بيان له نشر بمارس عام 2015 عن عدم مسئولية الدير عن أي تعاملات مالية أو تبرعات يجمعها الراهب يعقوب المقاري الذى تم تسريحه من الدير.

تعود قصة الراهب يعقوب المقاري إلى سنوات الفراغ التي عاشها دير الأنبا مقار بلا رئيس أو أب روحي، حيث انخرط "يعقوب" في جمع

الأديرة غير المعترف بها..
النصب المقدس

يستلزم بناء دير قبطى فى مصر، ووفقا لقانون الكنيسة الحصول على إذن من بطريركية الأقباط الأرثوذكس موقعًا من البابا تواضروس الثانى باعتباره الرئيس الأعلى للأديرة المصرية ومديرها الروحى، وهو نفس الأمر المنصوص عليه فى لائحة الأديرة التى أصدرها البابا تواضروس عام 2013، ومن ثم فإن تلك الأديرة التى لم تحصل على هذا التصريح قبل إنشائها لا تتبع الكنيسة القبطية وليس للكنيسة أى سلطة عليها.

ولكي يتم الشروع فى تأسيس دير لا بد من الحصول على الإذن قبل شراء الأرض، ووجود تجمع رهبانى يرغب فى الإقامة بالدير ثم البدء فى شرائها بناءًا على ذلك ويفضل أن تكون بالمنطقة حياة رهبانية سابقة ويعيد الدير الجديد إحيائها من جديد، وتسجل أرض الدير باسم بابا الإسكندرية

بصفته أو أحد الأساقفة مندوبًا عن البابا ووكيلًا عنه.

فى الخطوة التالية، يعرض الحاصل على التصريح الذى يشترط أن يكون من إكليروس الكنيسة، سواء أحد الآباء الرهبان أو الأساقفة، الرسم الهندسى للدير المراد بنائه على البطريركية مرة أخرى، ليحصل على الموافقة.

فى الخطوة الثالثة، وبناءًا على هذا التصريح، تنتدب الكنيسة أحد الآباء الرهبان أو الأساقفة للإشراف على عملية تمويل بناء الدير إما عن طريق التبرعات للكنائس أو جمع الأموال بأى طريقة بنكية أو نقدية على أن يتم تقديم ما يفيد ذلك وموافاة الكنيسة أولًا بأول، وينتهى هذا الإجراء ببناء الدير.

الخطوة الرابعة هى انتداب الكنيسة القبطية أحد الأساقفة أو الرهبان للإشراف على الحياة الرهبانية الجديدة فى هذا الدير، التى عادة ما تبدأ برهبان فى أديرة أخرى يبدأون فى تعمير الدير الجديد حتى يتثنى للدير قبول طالبى رهبنة جدد.

الخطوة الخامسة، هى استيفاء الشروط والمعايير، وانتظام الحياة الروحية والديرية بالدير الجديد والتقدم للجنة شئون الأديرة بالمجمع المقدس من أجل الحصول على اعتراف المجمع المقدس بهذا الدير، حيث تنتدب لجنة شئون الأديرة لجنة من الآباء الأساقفة لمعاينة الدير والتأكد من استيفائه للشروط والمعايير وتصدر تقريرًا بعد ذلك يرفع للمجمع المقدس عن

تفاصيل الحياة داخل الدير وهل يستحق الحصول على اعتراف المجمع أم أن الوقت مازال أمامه لترتيب وتنظيم الحياة الرهبانية فيه.

الخطوة السادسة، بعدما تطمأن الكنيسة إلى صحة الحياة الرهبانية والديرية فى الدير الجديد، تصدر قرارًا بالاعتراف بالدير ضمن أديرتها القبطية وتعلم بذلك كافة جهات الدولة رسميًا.

هناك فجوة واسعة بين بناء الدير واستيفائه شروط الكنيسة القبطية وحتى الحصول على اعتراف الكنيسة ممثلة في مجمعها المقدس به رسميًا، هناك بعض الأديرة تخضع لإشراف الكنيسة لحين الحصول على اعتراف المجمع المقدس بها، ولكنها فى الوقت نفسه كانت قد حصلت على تصريح رسمى من البطريركية لشراء الأرض، تلك الأديرة مازال أمامها وقت للاعتراف بها، مثل دير الأنبا مكاريوس بوادى النطرون، وهو الأمر الذى يختلف كليًا عن تلك الأماكن التى بنيت دون إذن الكنيسة ولم تسعَ لتقنين أوضاعها أو الحصول على اعتراف رسمى بها.

في ظل معاناة الكنيسة القبطية من تلك الأديرة الوهمية صدرت عدة بيانات متتابعة تحذر جموع الأقباط من زيارة تلك الأماكن أو التبرع لها، من بين ذلك المباني التي أسسها رجلٌ يدعو نفسه "أغابيوس الفاخورى" وبالميلاد قديس رؤوف غالى زعم أنه راهب قبطي تمكن من جمع تبرعات بالملايين لينشأ ما أطلق عليه ديرًا قبطيًا يجتذب مئات الزيارات، صدر ضده قرارٌ رسمي من المجمع المقدس جاء فيه "أن المدعو ليس راهبًا

دير الأنبا مكاريوس بوادي الريان.. شوكة بلعتها الكنيسة

ظل دير الأنبا مكاريوس بوادي الريان، شوكة فى حلق الكنيسة القبطية منذ تأسيسه عبر التبرعات وبناء أسوار عالية له، حتى تجدد الأزمة مع الدولة التى أرادت شق طريق يمر بالدير الأمر الذى استلزم هدم جزء من سوره، فلم يحظ الدير الواقع فى محمية وادى الريان الطبيعية على اعتراف المجمع المقدس حتى اليوم، رغم أنه حصل من قبل على تصريح من الكنيسة لبنائه ويعرف باسم الدير المنحوت، حيث سبق وعاش فيه القمص متى المسكين مع تلاميذه من الرهبان في الفترة ما بين الخمسينات والستينات من القرن الماضى، حين دب الخلاف بين "أبونا متى" والبابا كيرلس السادس 1960، وأخذ الأب متى الرهبان أولاده مينا، وكيرلس، وموسى وأشعيا، وديونيسوس، وداود، وإسطفانوس ورحل إلى الريان.

دير الأنبا مكاريوس بوادي الريان.. شوكة بلعتها الكنيسة

ظل دير الأنبا مكاريوس بوادي الريان، شوكة في حلق الكنيسة القبطية منذ تأسيسه عبر الشرعات وبناء أسوار عالية له، حتى تجدد الأزمة مع الدولة التي أردات شق طريق يمر بالدير الأمر الذى استلزم هدم جزء من سوره، فلم يحظ الدير الواقع في حمية وادى الريان الطبيعية على اعتراف المجمع المقدس حتى اليوم، رغم أنه حصل من قبل على تصريح من الكنيسة لبناءه ويعرف باسم الدير المنحوت، حيث سبق وعاش فيه القمص متى المسكين مع تلاميذه من الرهبان في الفترة ما بين الخمسينات والستينات من القرن الماضي، حين دب الخلاف بين "أبونا متى" والبابا كيرلس السادس 1960، وأخذ الأب متى الرهبان أولاده مينا، وكيرلس، وموسى واشعيا، وديونيسوس، وداود، وإسطفانوس ورحل إلى الريان.

الأقباط، ومن وادى الريان إلى وادى النطرون، وجمع 33 مليون جنيه لبناء دير يحمل اسم "الأنبا كاراس" دون علم الكنيسة، وانتهى به المطاف بالاستيلاء عليه وكتابته باسم الراهب الذى طردته الكنيسة.. وفى الفيوم أغرت راهبة الفتيات بالانضمام إليها بحجة الرهبنة، وجمع أموال باسم "إخوة الرب"، وقام مسيحى بانتحال صفة راهب وتأسيس دير على الطريق الصحراوى، لتجد الكنيسة نفسها أمام ظاهرة جديدة تمت دون علمها.

لقد ظهرت الرهبنة فى مصر على يد القديس أنطونيوس الكبير فى القرن الرابع، عصر الانتقال من المشاعية إلى الإقطاع، عصر كانت فيه المدينة تبعد آلاف الكيلومترات عن الصحراء، وظهرت الرهبنة كحركة شعبية علمانية، رهبنة أخوة وليس رهبنة كهنوتية، ولم يكن هناك إلا كاهن محلى يأتى من أقرب إيبارشية يصلى معهم القداس الإلهى كل زمن، وبعد عقود أصبح هناك كاهن راهب فى كل تجمع رهبانى، وكانت الرهبنة تخضع للكنيسة، عقائديًا وروحيًا وليس إداريًا، وشيئًا فشيئًا، ومع عوامل التطور خاصة فى الثلاثين عامًا الأخيرة، وفى الثورات، خاصة ثورة الاتصالات، تغير الأمر وبلغ عدد الرهبان -وفق المصادر الرسمية- حوالى 1200 راهب، وأصبح المجمع المقدس 120 أسقفًا، أى أسقف لكل عشرة رهبان، وباتت الرتب الكهنوتية وسط الرهبان تقترب من 60 % تقريبًا، وسيم أسقف لكل دير، وخضعت الأديرة إداريًا للكنيسة، ومن ثم أصبحت الرهبنة الحالية فى أغلبها "أكليروس متبتل تابع للكنيسة" وليست رهبنة بالمعنى

"الأبطونى"، ولكن هناك بقايا صراع بين الشكل القديم للرهبنة "حركة علمانية شعبية وليست كهنوتية كنسية"، والرهبنة الحديثة التى تحولت إلى "إكليروس متمثل تابع للكنيسة"(*).

أما التبرعات تذهب للأديرة أكثر من الكنيسة، وربما ذلك فتح باب محاولات الربط بين الإيبارشيات والدير، وبات كل أسقف أو مطران يحاول إنشاء دير أو الاستحواذ على دير، وخلق "مولد" له يدر أموالًا، ومن ثم نشأت التنافسية، ولا أقول الصراعات.

ومع اقتراب المدينة من الصحراء، وتحول الأديرة إلى مزارع ومصانع ومعامل إنتاج ظهر "بيزنس ديرى"، ومع الزيارات اليومية والفندقة صار الدير قطعة من العالم، وأصبحت لديه علامات جودة وحسابات فى البنوك ورحلات لأوروبا وأمريكا لجلب التبرعات السخية.

باختصار، تبدلت العلاقة الرهبانية من علاقة "رأسية بالله" إلى علاقة "أفقية بأرض"، كل مشاكل الأديرة مع الدولة مشاكل توسع أفقى، ونشأت ما تسميه الكنيسة "أديرة غير رسمية"، ومن ثم ارتد الصراع إلى عصر "الإقطاع الرهبانى" كما كان يحدث فى أوروبا فى العصور الوسطى، حيث كان لكل دوق إقطاعية بها دير وأسقف.

يظهر ذلك جليًا فى أزمة دير وادى الريان، الذى قلب صحراء الفيوم، وعلى بعد 20 كم من شلالات وادى الريان التى تعتبرها وزارة البيئة محمية

(*) سليمان شفيق، المرجع السابق.

طبيعية، تحتلى بالحيوانات والطيور النادرة.

فى العام 2015، قررت خوض مغامرة استكشاف هذا الدير وقبل التوجه أزمانه مع الدولة والكنيسة حيث كانت وزارة النقل تعتزم شق طريق الفيوم الدولي مارًا بالدير ورأت ضرورة هدم سور الدير، ليعبر الطريق من منتصف الدير ويشطره إلى نصفين، حتى أن الوزارة حين بدأت تحريك معداتها صوب الدير عام 2015 تصدى لها الرهبان حاملين "التونيا البيضاء"، وهى كفن الراهب الذى يدفن به وفقًا للتقاليد الكنسية.

فى الطريق إلى الدير سارت بنا السيارة وسط صحارى الفيوم، حتى ظهرت بحيرة قارون على اليسار، وبعدها لاحت علامات إرشادية تهدى إلى شلالات وادى الريان، تعبر البوابة السياحية، وتقطع السيارة مسافة أخرى لا تقل عن 30 كيلومترًا، يظهر بعدها سور الدير الأزمة، مترامى الأطراف يقطع بصليب فى المنتصف الرمل الأبيض، يعلو ويهبط بين منحدرات الصحراء الوعرة، يلتف مع التفافها، وينحنى لها، على مرمى البصر وفى منطقة بعيدة جدًا عن بوابته، تظهر من بعيد قباب وصلبان وقلايات الرهبان، تنتفخ فى سماء الصحراء، لتؤكد وجود ديرها ورهبانه.

تظهر لافتة "دير الأنبا مكاريوس السكندرى بوادى الريان" يرحب بالزوار، تعبر طريقًا رمليًا صغيرًا، تواجه البوابة الحديدية أمامك، تعلوها صورة الراهب القديس، تطرق الباب، يخرج لك عصبة من الرهبان، يحمل أحدهم عدسة الصحراء المكبرة الضخمة، ويحمل الثانى فى يده نبوتًا خشبيًا

والذى كان يستخدمه الفتوات فى الحارات القديمة.

تعبر السيارة طرقًا أخرى، ومرتفعات رملية ناعمة، فلا يبين أثر، إلا أن الراهب نوح الذى يتمتم دائمًا "يا يسوع"، يطمئنك، لا تخشى المسافة الرب معنا، وأمام لافتة خشبية نحتها الرهبان كتب عليها "لكل شىء زمان ولكل أمر تحت السماوات وقت"، تتوقف السيارة، حيث يمنى الرهبان أنفسهم بالانتظار وهم يقرأون أقوال القديسين، انتظارات كثيرة تتجدد من وعد إلى آخر، ومن أزمة إلى أخرى.

فى غرفة تجاور عيادة الدير، ننتظر الراهب بولس الريانى، أحد أقدم رهبان الدير، والمسؤول عن الآثار فيه، والذى سيسجن بعد هذا اللقاء بعامين نتيجة التعدي على أراضي وزارة البيئة جاءنا الراهب بعد انتظار نصف ساعة على ظهر سيارة دفع رباعى، يصعد بها الجبل حيث قلايته وكنيسته وآثاره التى اجتهد فى البحث عنها.

كان الراهب بولس يحمل حقيبة سوداء، تمتلئ بأوراق النزاع، ملفات كثيرة، ملف يخص وزارة البيئة، وملف يخص خطوات اعتراف الكنيسة بالدير، وملف ثالث لوزارة الآثار التى اعترفت فعليًا بأثرية المكان، وملف رابع لأزمة الطريق الدولى الجديدة، وأوراق وخرائط ومتاعب لا تنتهى، تعيد الراهب إلى العالم الذى قرر اعتزاله واستبدال الصحراء به، مثلما يقول.

"سوف نحمى الدير بجثثنا ودمائنا، ولن تعبر معدات الطريق الدولى

إلا فوق أجسادنا"، يستهل الراهب أثناسيوس حديثه الحذر لنا، الذي لا نعرف التوازنات، قال إن الحياة الرهبانية بدأت في الصحراء الرابع الميلادي إبان نشأة ظاهرة الرهبنة في مصر، ثم عادت مرة أخرى يد الراهبين "مقر المسكين"، وصديقه "البشع المقاري"، رئيس الدير في الستينيات من القرن الماضي، مؤكدًا أنه ينتمي إلى أقدم جيل من الدير بعدما توافد عليه العديد من طالبي الرهبنة، وحياة العزلة وجدوا فيه ضالتهم، حيث يقع الدير في صحراء شاسعة ويعزل العالم فعليًا، مما يسمح للراهب بالتأمل والنسك والصلاة، وعلى من بقي الأديرة التي اقتربت جدًا من العمران، ويقول أنه ترهن الدير منذ عام 2000، امتدادًا لذكرى القديسين وحياتهما الأولى، وظلت الحياة الرهبانية مستمرة في الدير، حتى بدأت محاضر وزارة البيئة تهاجم الدير عقب ضم الدير إلى منطقة المحمية الطبيعية بوادي الريان، وعلت الوزارة بتغيرين أوضاعنا، وتمكن رئيس الدير الراهب إلبشع المقاري من الحصول على عقد اتفاق بين وزارة البيئة وسكان المنطقة المحليين ورئيس الدير، ينص على قبول الوزارة بممارسة الشعائر الدينية والأنشطة الضرورية للمعيشة، على أن يتم تخصيص الجزء الجنوبي الغربي من الدير لمنطقة الحيوانات، وذلك عام 2013، ويشير العقد إلى أحقية الدير في الحصول على مياه العيون بالصحراء، ويتضمن شرحًا تفصيليًا لمنشآت الدير، وهنا توقفت مشكلاتنا مع وزارة البيئة ثم ظهرت مشكلة جديدة".

كنا نسير فى طريق الاعتراف الرسمى من قبل الكنيسة بالدير، وانتهينا لها أيام البابا شنودة الثالث، حتى تنيح، وتوقف كل شىء، وجاء البابا تواضروس فالتحقنا ذراعيه لاحتواء الأزمة، وحصلنا على شهادة من الكاتدرائية تؤكد أن الدير أثرى، وتم تجديد وتعمير الرهبان فيه عام 1960، حتى جاءت أزمة الطريق الدولى، فأوقفت الكنيسة إجراءات اعترافها بالدير، وعدنا إلى نقطة الصفر، و "طلب البابا تواضروس من الراهب إليشع، رئيس الدير، إيقاف أعمال إنشاء السور، كنا قد بنينا ثلاثة أرباعه بالفعل، ودعا البابا إلى اجتماع عاجل بالقاهرة بعد عشرة أيام، فما كان منا إلا أن أنهينا بناء السور قبل موعد الاجتماع، الأمر الذى أغضب البابا تواضروس، وطلب موافقة الرهبان على هدم السور، استجابة للدولة التى رأت ضرورة عبور الطريق الدولى من قلب الدير فرفضنا وخسرنا اعتراف الكنيسة الرسمى"، "الدولة لا تريد أن تحقن دماء الفتنة الطائفية التى ستغرق الصحراء، إذا قررت هدم سور الدير، ومنعنا من العيون التى أنفقنا عليها، وهدمت الكنائس والمبانى التى بنيناها بأيدينا، فنحن نعيش على أموال الصدقات ولا يمكن أن نفرط فى ذلك

"استعنا بخبراء ومهندسين وخرائط مساحية وقد أكدوا أن هناك أربعة طرق بديلة لهدم الدير يمكن للطريق الدولى أن يعبر منها، عارضًا خرائط ملتقطة بالقمر الصناعى لموقع الطريق"، و"الفتنة قادمة إذا لم تستجب الدولة وتتركنا ننعزل عن العالم ونواصل حياتنا الرهبانية وتأملنا".

وعن تمويل الدير، قال الرياني إن الدير يتلقى تبرعات عينية من عمال المحاجر، وأصحاب المحاجر فى جبال المنيا والفيوم، كما أن تلك التبرعات هى التى أسهمت فى بناء السور، بالإضافة إلى أموال نقدية وتبرعات باسم الدير، يحصل المتبرع وفقًا لها على إيصالات باسم الدير، مشيرًا إلى أن جمع ملايين الجنيهات من أجل تعمير الدير لم يحدث بين ليلة وضحاها إنما جاء حصيلة سنوات من التعب والخدمة فى الصحراء، فالرهبان يعملون على حفر قلايات لهم ليسكنوها فى الجبل، وفى أثناء أعمال الحفر فوجئ الرهبان بوجود عظام وملابس كهنوتية قديمة "تونيا" من الكتان المتهالك، واستمرت عمليات الحفر، حتى تم العثور على ما يقرب من 20 مغارة أثرية وأوانٍ فخارية، حصلت بالفعل على اعتراف وزارة الآثار يوم 12 أغسطس الماضى، حيث تضمن تقرير هيئة الآثار التأكيد على وجود تلال أثرية، عليها مظاهر أثرية عبارة عن كسر فخارية منتشرة على الأسطح، ومبانى بها جدران ممتلئة بالرسوم الأثرية، وأطلال مبانٍ من الحجر الجيرى والطوب الطفلى، وأوصت هيئة الآثار بضرورة تسجيلها ضمن الآثار الإسلامية والقبطية.

يقرر الرياني أن يعرض كشوفه الأثرية، نعود إلى السيارة التى يقودها الراهب بيجول، وبصحبة الراهب نوح نصعد وسط صحارى وعرة ومرتفعات، "تغرز" السيارة فى الرمل، يبذل الرهبان المدربون جهودًا لإخراجها، نواصل السير، ونصل أخيرًا إلى المغارة الأولى، وفى المغارة

دوالان عشبيان بداخلهما كتابات باللغة القبطية ورسوم، يطلان من خلف
لوح زجاج فصل الرهبان الحفاظ عليه بتلك الطريقة، وفى الداخل مغارة
تظهر فيها آنية فخارية، وحفر عميق كان يستخدم لتخزين الغلال، وعلى
بعد 20 مترًا منها مغارة أخرى بالمواصفات ذاتها.

أسفل المغارة وبعد أن تهبط بضعة أمتار من الجبل، تظهر لك الكنائس
الأربع التى بناها الرهبان على تبة مرتفعة وعالية، الأولى تحمل اسم مذبح
الملاك ميخائيل رئيس الملائكة، والتى تم حفرها عام 2004، وتضم رفاتًا
للشهيدة القديسة دميانة، والقديس إبراهيم البسيط، وعلى المذبح تكتب
عبارة "من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه"، فوق صورة
العشاء الربانى للمسيح وحواريه.

يقول الراهب نوح، إن يوم الرهبان يبدأ فى الثالثة صباحًا بالتسابيح
القبطية، ثم يتجهون إلى صلاة القداس، وبعدها يقرأون قانون الراهب، ثم
يتجه كل راهب إلى خدمته سواء فى المخبز أو البوابة أو ورشة النجارة، أو
ورشة الميكانيكا أو مزرعة الدير، وتختتم الخدمة بصلوات العشية ويصعدون
إلى القلالى للنوم والراحة.

نتجاوز الكنيسة الأولى، وفى الطريق إليها تقف الصحراء مرصعة
بأقوال القديسين على ألواح خشبية ينتجها الدير، الكنيسة الثانية تحمل
اسم القديس الأنبا مكاريوس السكندرى الذى يحمل الدير اسمه، حيث
كان يصلى فى هذا المكان بالجبل، ويقضى أيام الصوم الكبير هنا، وترك آثارًا

دير الأنبا كاراس بالنطرون.. شوكة أخرى جديدة

يستدعى نموذج دير وادى الريان الذى انتهى بإحكام الكنيسة قبضتها عليه نموذجًا آخر من الأديرة غير المعترف بها كنسيًا، وهو دير السيدة العذراء والأنبا كاراس الذى أسسه الراهب يعقوب المقارى بعدما جمع له تبرعات هائلة، الديران "الريان" "والأنبا كاراس" غير معترف بهما، وأثارا صداعًا بالغًا فى رأس الكنيسة، وهما معًا نتاج أزمات دير الأنبا مقار، فالدير الأول تأسس على يد إليشع المقاري، أما الثاني فتأسس على يد يعقوب المقاري الذى أصدرت الكنيسة القبطية قرارا بتجريده من رهبنته وإعادته لاسمه العلماني فى الخامس من سبتمبر من العام 2018 أي بعد شهرين من حادثة مقتل الانبا إبيفانيوس وقد قررت خوض مغامرة أخرى فى صحراء وادى النطرون لإجراء حوار صحفى معه.

فى صحراء وادى النطرون، تنحرف بنا السيارة يمينًا فى الطريق المؤدى لدير براموس، حين تظهر لافتة "دير العذراء والأنبا كاراس"، نمر بمنعطفات صخرية تحوطها الأشجار من كل اتجاه وكأنك فى الطريق للغابة، حتى تظهر قباب دير جديد، يقف قبلها رجل شرطة نقول له "عندنا معاد مع أبونا يعقوب" ليفتح لنا الطريق، وعلى باب الصرح الذى يسميه صاحبه "ديرًا"، يسأل الحارس عن هوياتنا ليسمح لنا بالدخول.

مساحات شاسعة من الأرض، وكنيسة عملاقة بقباب ضخمة، وأعمال بناء تجرى هنا وهناك، ومضيفة تستقبل الزوار يقوم على خدمتها من يرتدى ملابس طالبى الرهبنة، وتسابيح وتماجيد تنبعث من جهاز تسجيل فى الخلفية، بينما صور "يعقوب المقارى" مع البابا شنودة تملأ المضيفة كلها، وفى المنتصف صورة كبيرة للبابا تواضروس كتب عليها بابا الإسكندرية.

يسألنى طالب الرهبنة، إن كنا نرغب فى الغداء، نبلغه إننا ننتظر "أبونا يعقوب"، وبعدها بدقائق يشير لنا عامل آخر، إن الراهب ينتظرنا هناك حيث كان يجلس خلف بوابة فى منتصف الدير، يضع طاولته ويرتدى ملابسه الرهبانية غير عابئ بقرار تجريده من الرهبنة الذى صدر قبل لقائنا به بـ48 ساعة.

روى يعقوب بحذر شديد قصة تأسيس ديره الكبير فقال: كانت هناك سيدة مريضة بالسرطان، تتردد علينا كثيرًا فى دير أبومقار الذى كنت راهبًا فيه وكان الأنبا كاراس شفيعها فشفاها وظهر لها وطلب منها تأسيس مكان

على اسمه، ثم تواصلت مع أسرتها وحصلت على إذن البابا شنودة الذي وافق على تأسيس دير باسم الأنبا كاراس وكان ذلك عام 2006، وبعدها بأربع سنوات رسمت "قتا" بيد البابا شنودة، ومنذ 2010 بدأت فعليًا في تأسيس الدير، وقال لي البابا شنودة "احنا مقصرين في حق الأنبا كاراس وابدأ اعمله دير".

لم يكن هناك أية مظاهر لحياة رهبانية في هذا المكان، ولكن برية شيهيت بشكل عام كانت مكتظة بالأديرة والمغارات الأثرية والحياة الرهبانية، حتى أن المقريزي أشار إلى وجود 5 آلاف دير في مصر، وكان يعيش هنا 70 ألف راهب في برية شيهيت ووادي النطرون، وبعد موافقة البابا شنودة وتفويضه لي، اخترنا هذا المكان وجاء أصحاب المال واشتريناه معًا وكتبوا الأرض باسمهم، ومازالت الأرض باسمهم حتى اليوم، وهناك من يدعي أن الأرض باسمي ولكنها باسم السيدة "أم مايكل" وأولادها.

في الأيام الأخيرة لحياة البابا شنودة، طلب منه الأنبا بيشوي أن يصبح مسؤولًا ومشرفًا على تأسيس الدير معي، وقد كان وقتها سكرتيرا للمجمع المقدس ووافق البابا شنودة على ذلك، وحين جاء البابا تواضروس بطريرك اعتذر الأنبا بيشوي عن الاستمرار في إشرافه على الدير، والدير مستوفي الشروط، ولكن دير البراموس المجاور لنا بدأ يتسبب في مشاكل معنا وقالوا "مينفعش دير جمب دير" وأحد الأساقفة قال "انتوا بتنافسوا دير

البراموس"، ورهبان البراموس رأوا أن دير الأنبا كاراس سيقلل من دخلهم ومن الزيارات وكلام من هذا القبيل.

و كان لدى مزرعة بالفعل اشتريتها من أحد الأشخاص بالأقساط وتبلغ مساحتها 8 أفدنة، ودفعت قسطين فقط، وبعدها بدأت الخلافات مع الكنيسة عام 2015، وبدأت تقل الزيارات على الدير، فاضطريت أن أبيع الأرض لكى أسدد الأقساط فجاءنى سمسار بمشترى اسمه أحمد وقد عرض أعلى سعر فبعت له، وأحب كل الناس ومسلم ومسيحى "ميفرقش معايا".

وحين تولى البابا تواضروس منصب البطريرك، رسم الأنبا إبيفانيوس رئيسا لدير أبومقار الذى كنت أقيم فيه، فأنا راهب مقارى فى الأساس، ثم اعتذر لى الأنبا بيشوى عن الإشراف على الدير، مقترحًا أن يتولى الأنبا إبيفانيوس تلك المهمة باعتباره رئيس ديرى الذى ترهبنت فيه فرفض الأنبا إبيفانيوس لأن مسؤولية دير أبومقار كبيرة، ثم استكملت إجراءات بناء دير الأنبا كاراس بعلم البابا تواضروس ثم بدأت "الهوجة" فى عام 2015.

فى 2015 كان هناك أربعة رهبان كنت قد أرسلتهم بنفسى لدير الأنبا مكاريوس بوادى الريان من قبل وكنت أب اعترافهم وأباهم فى الرهبنة، ثم أتيت بهم إلى هنا لكى يساعدونى فى تأسيس هذا الدير، ثم بدأت توجهاتهم تختلف فتعلموا المبيت خارج الدير بالأسبوع، والحصول على أموال من ناس ولا يقدمونها للدير، والكلام ده كله ميفرقش معايا، ولكنهم اتفقوا مع

رهبان دير البراموس ليسلموا هذا الدير لهم ويصبح تابعًا لدير البراموس و"انا أمشى من الدير" ثم جاؤنى وقالوا غدًا اجتماع البابا مع الرهبان، وسوف نشكوك له إلا لو سلمت الدير للأنبا ايسوذوروس رئيس دير البراموس المجاور، وفى الوقت نفسه سنصبح نحن رهبانا بدير البراموس ونخدم هناك، فطردتهم من الدير، ورفضت إدخالهم مرة أخرى، بعدها زادت المشاكل حيث طلب البابا تواضروس منى أوراقًا معينة وأرسلتها له لكى نقنن الاعتراف بالدير، ثم نشرت مجلة الكرازة بيانا تعلن فيه الكنيسة أن دير الأنبا كاراس ليس ديرًا وإننا "نصابون" والتبرعات التى تأتى لنا تذهب للباطل، مما دفعنى لترك المكان هنا والعودة لدير أبومقار وكان ذلك فى الصوم الكبير 2015 ثم أرسل لى الأنبا إبيفانيوس وطلب منى أن أكتب أرض دير الأنبا كاراس باسم البابا فرفضت، لأن الأرض باسم أصحابها وليست باسمى فخيرنى ما بين أن أعيش راهبًا فى دير الأنبا مقار وأقطع علاقتى بدير الأنبا كاراس، أو أن أترك دير الأنبا مقار وأعيش فى دير الأنبا كاراس، ويعلن ذلك فى بيان رسمى، اخترت أن أعيش فى الموضع الذى أسسته وتعبت فيه وهو دير الأنبا كاراس ولملمت أشيائى وجئت إلى هنا بكامل إرادتى.

وصدر بيان يعلن فيه دير الأنبا مقار عدم مسؤوليته عنى فى الأمور المالية والروحية، وهو أمر طبيعى لأننا اتفقنا على ذلك، فأنا تركت دير الأنبا مقار وبالتالى الدير ليس مسؤولًا عنى، وبعدها جاءنى الأنبا بيشوى،

وقال إن البابا تواضروس كلفه بحل المشكلة معى، واتفقنا أن تشرف لجنة مالية من الأساقفة على الدير، برئاسة الأنبا بيشوى، وأن يأخذ الأخوة الرهبان ويرسمهم فى دير السريان، وأن أصبح أنا أمينًا للدير، وقال لى إن البابا "عايز الأرض تتكتب باسمه"، فقلت له إن الأرض ليست باسمى، وأن أصحاب الأرض سيسجلون الأرض باسم الكنيسة فى حال اعترفت بالدير رسميًا وهو ما سجلناه فى خطاب رسمى وجهناه للبابا تواضروس، ولكن البابا رفض وطلب أن أخلى المكان وألتحق بأى دير آخر، وسمعت أن الكنيسة تفكر فى تأسيس منتجع سياحى فى هذا المكان، ولكن بعض الأساقفة يرون ضرورة ضمه لدير البراموس، ثم اجتمعت مع لجنة شؤون الأديرة عام 2015 أيضًا، وجلست معهم وطلبوا منى كتابة تعهد رسمى بالخضوع للبابا فوافقت، وطلبوا أن أكتب تعهدًا بتسليم الأرض للكنيسة، فكلمت أصحاب الأرض وأرسلوا محاميهم وجلسوا مع الأساقفة، وأطلعت اللجنة على خطاب البابا شنودة الذى كلفنى فيه بتأسيس الدير، واقترح أحد الأساقفة أن أضم لى بعض رهبان دير الريان فوافقت، ثم رجعوا فى اتفاقهم وطلبوا تسجيل الأرض باسم الكنيسة مرة أخرى وهو ما لا أستطيع تنفيذه، وطلبوا أيضا أن أترك الدير وأغادر، وأن الكنيسة غير مسؤولة عن الديون التى استدنتها لتأسيس الدير، وسيلحقنى البابا بأى دير يرغب فيه فشعرت بالغدر، لو تركت الدير ومشيت "أنا عليا ديون والتزامات".

فقد كتبت إيصالات أمانة واستدنت من رجال أعمال أقباط فى المهجر

ذكى أوسس هذا الدير وبعض المشروعات الخدمية فيه، هى ديون بلا فوائد ولن يزكوها لأنها ليست تبرعًا، وكنت أخطط أن أبنى مشروعات بعدما ينتهى من بناء مبانى الدير، لدى مشروع للدواجن وفكرت فى تأسيس مصنع مكرونة ولدينا مزارع زيتون وموالح ورمان، وكنت سأنشئ مصنع سلك وكابلات، ولكن الكنيسة قالت "الديون ملناش دعوة بيها ودا طبعًا هيدخلنى السجن لأنى مضيت إيصالات أمانة وطبعًا هتحبس"، ورفضت طلب الكنيسة وقلت "سددوا الديون معنديش استعداد أدخل السجن"..، وتم غلق ملف هذا الدير فترة طويلة، ثم ظهر مرة أخرى تحديدًا فى المجمع المقدس الأخير وهاتفنى أحد الأساقفة وقال لى إن دير الأنبا كاراس ذكر أكثر من مرة فى المجمع المقدس وإنهم "عايزين يخلصوا الموضوع" ثم زارنى الأنبا مكاريوس أسقف المنيا والأنبا متاؤوس رئيس دير السريان فى جلسة محبة وصلوا بالكنيسة، وأعلنت خضوعى للكنيسة القبطية، وطلبت أن يشرف الأنبا متاؤوس على الدير ويتدخل لحل الأزمة، بعدها بأسبوع ردوا برفض البابا لأن البابا يرغب فى نقل ملكية الأرض باسم الكنيسة، ثم التقيت الأنبا مكاريوس بالقاهرة مع أصحاب الأرض والدائنين، وانتهت الجلسة بالعبارة "الأرض والدير مقابل الكهنوت"، فإن لم أمنح الكنيسة الأرض سيتم شلحى والناس رفضوا خوفا من بناء منتجع سياحى فى هذه الأرض، وهذا المكان دير والبابا شنودة قال إنه دير، ولا يمكن أن يكون أى شىء إلا ديرًا.

ثم صدر فى البداية قرار التجريد لى مع "أشعياء المقارى" وكان قرارًا غير مختوم لجس النبض، ثم جردوا أشعياء المقارى وحده، وفى نفس اليوم ظهر الأنبا كاراس لطفل اسمه إرميا فى المنطقة هنا، واستبشرت خيرًا، وزارنى الأنبا متاؤس، والأنبا دانيال رئيس دير الأنبا بولا وجددا طلب تسليم الأرض للكنيسة وأن أغادر المكان مرة أخرى فرفضت، ثم اتفقنا على أن الأنبا متاؤوس يصبح مشرفًا على الدير، وكتبنا ذلك فى تعهد، ثم جاء الأنبا دانيال سكرتير المجمع واجتمعوا معًا وتركت لهم المكان، ومضيت على أنه فى حالة مخالفتى للأنبا متاؤوس أصبح تحت طائلة القانون الكنسى وغادروا، وبعدها اتصلوا بى وطلبوا الاجتماع بى مرة أخرى فى المعادى وذهبت فقالوا عليك أن تكتب الأرض باسم الكنيسة بلا قيود ولا شروط، وألا اشترط الاستمرار فى الدير وأن أعيش فى أى دير فقلت لهم "متأسف" ثم عادوا وزارونى مرة أخرى هنا فى الدير وطلبوا التوقيع على الإقرارات، ورفضت وقلت لهم و"إيه اللى عملتوا غلط عشان امشى من الدير"، قالوا لى "البابا هيجيب حد تانى يمسك الدير مكانك" قلت لهم "بابا مين اللى يجيب غيرى يمسك المكان، اللى هيجى أحسن منى فى إيه، أنا بنيت المكان وتعبت فيه ويجى حد ياخده غيرى".

"أنا ما أخدتش حاجة من حد ولو أخدت من حقى أن آخذ لأنى مسؤول مالى وإدارى وروحى ومشرف عام على الدير بتفويض من البابا شنودة عن هذا المكان، وإذا جاء أحد ومنح أحد الأساقفة "فلوس

ش هيقوله لا"، وأنا برضه ماخدتش واللى طلع شائعة استيلائي على 33
مليون جنيه دى "واحدة ست" كانت صديقة لراهب ممن سرحتهم من
الدير، والـ33 مليون دول أنا اخدتهم ازاى؟، هل هناك ما يثبت ذلك أو
إيصال أو ورقة وهذا الكلام كله باطل.

وقعت إيصالات أمانة وبنيت، والزيارات قليلة فأفتح الصناديق أجد
ألفًا أو ألفين كل 15 يومًا، ولم يكن أمامى أى وسيلة لاستكمال الدير سوى
توقيع إيصالات أمانة، والـ33 مليونًا ميعملوش حاجة والدير هنا كلف
على الأقل 150 مليونًا والكلام كتير وممكن أرفع قضية على هذه السيدة
ولكنها ابنتى وحتى لو غلطت فى حقى هسامح.

حكى يعقوب أيضا قصة إصداره بيانًا يعلن فيه تبرأه من البابا تواضروس
وقال: كتبت هذا البيان من فترة وكنت مجهزه ومفيش حاجة عندى أخاف
عليها، وقرار الشلح مش فارق معايا لأنى بعتبر "البابا مش موجود" ولا
أعترف به، ولم أنصب نفسى بطريركاً "الفيس بوك" هو من قال ذلك،
ولأنى كاهن من حقى أن أرسم رهبانًا لأن الرهبنة ليست درجة كهنوتية،
ولكنى لا أستطيع أن أرسم "شماس" مثلًا لأنها درجة كهنوتية وقوانين
الرهبنة تسمح بذلك، وأنا نفسى مرسوم بيد أبونا كيرلس المقارى وقد كان
كاهنًا، وأبونا متى المسكين كان يرسم رهبانا والبابا كيرلس السادس رسم
رهبانا حين كان أبونا مينا المتوحد، وهكذا، وكنت عامل حساب للكنيسة
وخاطر ورفضت أن أرسم رهبانًا هنا، أما الرهبان الذين معيفهم يحبوننى

عِزب الأساقفة وموالدهم

لم تكن قرارات البابا تواضروس التى أراد بها إصلاح الرهبنة والأديرة
لتمر مرور الكرام على الأساقفة الذين يسيطرون على الأديرة خاصة ذات
الموالد الشهيرة، قرارات البابا استهدفت إخضاع كافة الأديرة لقرارات
مركزية بينما قطاع كبير من الأساقفة يعتمد على دخل الأديرة القريبة منه ومن
ثم فإن قرارات إيقاف الرحلات وتقنين أوضاع الأديرة ليست سهلة.

فى الصعيد غالبية الأديرة تخضع لأساقفة الإيبراشيات الأقرب لها،
وتنتشر ظاهرة الموالد القبطية التي تعم البلاد طولها وعرضها في أديرة كثيرة
أشهرها دير السيدة العذراء بدرنكة بأسيوط والدير المحرق بأسيوط أيضا،
ودير الأنبا صموئيل بالمنيا، ودير مارجرجس بميت دمسيس بالدقهلية
ودير القديسة دميانة بالدقهلية أيضا.

في مواسم الموالد تعج تلك الأديرة بالزيارات إلى جانب إيجار الدير

لبعض الأنشطة التجارية مثل محلات الطعام التي تخدم الزوار والنشطة البيع والشراء، ليجد الأسقف بحوزته ملايين الجنيهات في نهاية موسم مولد الدير، تخضع تلك الأموال للأسقف شخصيًا بلا ضابط ولا رابط إلا أن البابا تواضروس أراد إخضاع بعض من تلك الأموال للكاتدرائية وهو ما تسبب له في أزمات مع بعض الأساقفة أشهرهم الأنبا الهالتون أسقف مغاغا والعدوة.

عبر نظام إداري جديد، حاول البابا تواضروس تقنين قضية التبرعات الكنسية وأسس نظامًا مركزيًا يحمل اسم "برنامج البابا تواضروس للرعاية الاجتماعية"، أراد من خلاله إخضاع قضية التبرعات لسيطرة الكاتدرائية حتى يضمن وصولها لمستحقيها من "إخوة الرب" أو فقراء الكنيسة، وهو النظام الذي لاقى مواجهة داخلية إلا أن البابا حاول تطبيقه في الكثير من الايبراشيات ليساعد على تدفق الأموال بشكل أفقي من الكنائس الغنية ذات التبرعات الباهظة لجاراتها الكنائس الفقيرة، ويضمن برنامج البابا أيضًا توظيف الحرفيين والعاطلين عن العمل عبر ربطهم بمؤسسات وشركات تطلب موظفين، بالإضافة إلى توفير الأدوية والأجهزة التعويضية لهؤلاء المحتاجين، إلا أن قبضة البابا تلك اغضبت الكثير من الأساقفة الذين يحبون أن تبقى في إيديهم أموال الحل والربط.

في مغاغا، أخضع البابا تواضروس أموال كنيسة دير الجرنوس أحد مسارات رحلة العائلة المقدسة للجنة مركزية من الكاتدرائية بعدما بلغ

الصراع بين الأسقف "الأنبا اغاثون" وشعب الكنيسة حدًا واسعًا، حيث مع الأسقف إقامة الأفراح فى تلك الكنيسة وأمر بإقامتها فى المطرانية بمدينة مغاغا حتى تصل إليه الأموال مباشرة، ويتمكن من بناء مبنى جديد للمطرانية، فما كان من شعب الكنيسة إلا أن احتج بشكل بالغ على سلطة الأسقف الروحية التى تحولت مع الوقت لسلطة مالية أيضًا.

تجريد إشعياء المقارى

بعد يومين من إصداره قرارات ضبط الرهبنة، كان البابا تواضروس على موعد مع توقيع القرار الباباوي الأخطر، تجريد الراهب إشعياء المقارى من رهبانيته وعودته لاسمه العلماني "وائل سعد تواضروس"، وقد جاء هذا القرار قبل أيام من تقديمه للمحاكمة كمتهم أول فى القضية رقم 805 كلي وادى النطرون، مقتل الأنبا إبيفانيوس.

جاء فى نص بيان الكنيسة: بعد التحقيق الرهبانى بواسطة لجنة خاصة مشكلة من اللجنة المجمعية لشئون الرهبنة والأديرة، مع الراهب أشعياء المقارى بخصوص الاتهامات والتصرفات التى صدرت عنه والتى لا تليق بالسلوك الرهبانى والحياة الديرية والالتزام بمبادئ ونذور الرهبنة من الفقر الاختيارى والطاعة والعفة، قررنا تجريد الراهب المذكور وطرده من مجمع دير القديس العظيم مكاريوس الكبير بوادى النطرون (دير الأنبا مقار) وعودته إلى اسمه العلمانى وائل سعد تواضروس وعدم انتسابه إلى الرهبنة

مع حثه على التوبة وإصلاح حياته من أجل خلاصه وأبديته.

في فبراير 2017، نشر أحد المواقع القبطية، خبرًا مفاده أن شكاوى قد أرسلت للبريد الإلكتروني للموقع من راهب يدعى "أشعياء المقاري" بعدما صدر ضده قرار باباوي يقضي بإبعاده من دير الأنبا مقار بوادي النطرون وإلحاقه بدير يسمى دير الزيتونة، وهو أحد الأديرة الجديدة بالعبور، وذلك على خلفية الطلب الذي تقدم به الأنبا إبيفانيوس للبابا تواضروس لإلحاق الراهب بأي دير آخر، فما كان من الراهب إلا أن جمع توقيعات من 45 راهبًا بالدير يطلبون فيها الإبقاء عليه بينهم، بينما وقع الراهب إقرارًا خطيًا يعلن فيه التزامه وخضوعه لأبيه الأنبا إبيفانيوس رئيس الدير، وبالفعل ظل الراهب متواجدًا بين أسوار الدير حتى اليوم، دون الكشف عن مزيد من التفاصيل ولا أسباب اعتراض الأنبا إبيفانيوس على بقائه بين أسوار الدير.

سبق هذا تحقيق أدارته لجنة شئون الرهبنة التي كتبت تقريرها عن إشعياء وقالت فيه "أن الراهب له ذات كبيرة، ويكسر قانونين في الرهبنة، وهما الطاعة والتجرد، ويفتخر بحصوله على أموال كثيرة، ويستضيف الرهبان في قلايته، ولم يتعامل مع الأب الأسقف، وأمين الدير، ويقترب من عمل جبهة مضادة في الدير، ولا يمسك أي عمل في الدير، رغم أنه شاب في الثلاثينات، وبناءً عليه قرر البابا تواضروس نقله ثلاث سنوات لدير الزيتونة بالعبور.

بحسب قانون الرهبنة، فإن قانون تجريد الرهبان من الدير والرهبنة يمر على ثلاث مراحل، هي الإنذار على يد رئيس الدير، ثم تحويله للجنة الانضباط الرهباني، ثم للجنة المجمعية للأديرة وشئون الرهبان، "فلا يتم تجريد راهب إلا بخروجه عن الإيمان الأرثوذكسي أو ارتكاب مخالفة لنذوره الرهبانية، وهي الطاعة والفقر الاختياري والتبتل".

القرار الذى حمل توقيع البابا تواضروس ومكتوب بخط يده جاء فيه:

إذ ندعو جموع الأقباط إلى الحفاظ على نقاوة الرهبنة القبطية بتاريخها المجيد، وحياة الأباء الرهبان التى اختاروها بأنفسهم، وتركوا العالم طلباً للهدوء والتوبة وخلاص النفس، لذا نرجو من الجميع عدم تعدى الحدود الواجبة فى المعاملات والعلاقات، والالتزام بالتعليمات التى تصدرها الأديرة فى الزيارات والخلوات، وعلى ابن الطاعة تحل البركة.

كان قرار التجريد بمثابة تمهيد لإحالته للمحاكمة الجنائية بقرار من النائب العام صدر بعدها بأيام وقد اعترف إشعياء فى تحقيقات النيابة التي أجريت في الدير بضلوعه فى قتل الأنبا إبيفانيوس قبل أن يعود وينفيها كلية.

من أوراق التحقيقات

جاء فى أقوال إشعياء المقارى أمام النيابة ما يلي: أنا راهب فى دير الأنبا مقار منذ 2008 وترهبنت فى عام 2010 على يد قداسة البابا شنودة وخدمت معه 3 سنوات وعلمنى كل شىء عن الرهبنة داخل الدير، وقال لى: "هناك مشاكل كثير ولا تسمع لكلام أحد من كبار الرهبان"(*).

"أول أعمالى عند ذهابى للدير أننى كنت مسئولا عن بيت لحم، وأخبز للدير كله لمدة 7 سنوات، وبعد ذلك كملت فى هذا العمل بعد أن تنيح البابا شنوده وأصبحت مسئولًا إلى جانب ذلك عن مشروع الدواجن لمدة 5 سنوات، وعلى الرغم من أنى كنت ناجح فى عملى داخل الدير إلا أنه كانت هناك مشاكل جسيمة بدأت تظهر بينى وبين رئيس الدير "الأنبا إبيفانيوس"، ونشأت هذه الخلافات منذ عام 2013، وفى أحد المرات كانت أمى مريضة وطلبت زيارتها فرفض ونهرنى بعنف.

(*) ننشر أقوال المتهم الأول فى مقتل الأنبا إبيفانيوس، الصحفي أحمد إسماعيل، جريدة اليوم السابع.

"علاقاتى بدأت تتزايد مع المهندسين والتجار والأطباء، وكنت أقوم بعمل اجتماعات فى العمل أناقش فيها أمور الدين وهذا لم يعجب رئيس الدير، وكان كارهًا لى أنا تحديدًا منذ 4 سنوات، وعشت أيام صعبة جدًا أنا وشباب كثير من سنى وكان أقدمهم منى "فلتاؤوس" لأنه كان طيب ودخل معى الرهبنة فى نفس العام، وهو الآخر تعرض للظلم كثيرًا، ومع زيادة الضيوف الوافدة لى بدأت استقبلهم بالمضيفة اللى فى الدير لأن مساحتها أكبر وهذا ما زاد المشاكل بينى وبين رئيس الدير، وكان الرهبان أصحاب المضايف يغلقون الباب فى وجهى لدرجة أنه فى العام الماضى ظل الأنبا إبيفانيوس على مدار 3 شهور يرانى فى الدير دون السلام على وهذا وضعنى فى ضغط نفسى وذهبت إليه فى القلاية لسؤاله عن السبب فى تجاهلى فكان رده عنيفا قائلا: "أنت عارف اللى بتعمله ومجهزلك ملف جرائمك خارج الدير" وبعد ذلك فوجئت أنه تقدم بشكوى ضدى بدون أدنى سبب لمجلس الأديرة، واتهمنى فيها بالاتجار فى الأراضى والآثار، وأننى سرقت مخزن الجبنة والبيض، أثبت التحقيق أنى برىء.

"بعدها بأسبوع جلست معه لمحاولة التصالح، ولكنه رد علىا نفس الرد السابق، وقال لى كلمة غريبة "انا بالنسبة لى مفيش حاجة ولكن الموضوع فى يد البابا تواضروس" والغريب أن قرار النقل من الدير جاء بعدها بـ 3 شهور وليس بعد التحقيق معى، وكان هناك 5 رهبان كبار دائمى الشحن ضدى، ولم يكن يعلم رئيس الدير كيف كانت الناس بتحبنى فى الدير،

الدرجة أنه كان راسم 13 راهب فى عهده، 9 منهم مضوا أنى استمر فى الدير، وبعد العودة فى القرار ومساندة الرهبان الكبار لى أحس الانبا ابيفانيوس بأننى كسرته أمام الجميع وزاد كرهه لى وحقده على، وخاصة بعد معرفة هذا الموضوع فى الأديرة ووسائل الإعلام، وعقب ذلك ظل يتجاهلنى وحبسنى فى قلايتى 40 يوما، وامتثلت لهذا القرار ونفذته، كما أصدر قرارا بإيقاف مشروع الدواجن الذى كنت أشرف عليه، وكان يمارس نفس هذه الأفعال مع صديقى الراهب فلتاؤوس، وأجبره على ترك 120 فدان زيتون كان يزرعهم وأجلسه عامين بدون عمل داخل الدير مما تسبب له فى العديد من الأمراض، ومنها الضغط والسكر والمرض النفسى وعندما اشتكى له جعله يعمل فى حظيرة البهائم مما أدى إلى زيادة سوء حالته النفسية.

"منذ شهر وأثناء جلوسى مع فلتاؤوس فى قلايتى اشتكينا لبعض الذل والمهانة وإهانة ابيفانوس لنا بدون سبب وقررنا التخلص منه واتفقنا على أن نصلى من أجل أن يخلصنا الله منه، واتفقنا أن ننتظره فى المكان الذى يمر منه دائما وأن نضربه، وكنا عارفين انه كان دائم الذهاب لصلاة قداس الاحد، ويمشى بطريق مختصر ودائما ما يكون بمفرده، وأشار المتهم إلى أنه أحضر عصا حديدية ثقيلة ووضعها فى مكان الواقعة واتفق مع فلتاؤس على التنفيذ وقتل رئيس الدير فجرا، مضيفا: وافق فلتاؤوس واتفق معى أن أقابله اليوم الثانى الساعة 3 فجرا بمنطقة القلايات، وكان دور فلتاؤس مراقبة الطريق فقط، وعندما تأكدت من خلو المكان أخذت

العصا الحديدية من المكان الذى سبق وخباتها فيه، وضربت بها رئيس الدير 3 ضربات متتالية على رأسه وذلك بعد أن أتيت من الخلف وتسللت دون أن يرانى فضربته أول ضربة من ظهره، وبعد ذلك انحنى فضربته الضربة الثانية على رأسه فوقع على الأرض وضربته الضربة الثالثة مرددا قائلا "موت وارتاح وريح الجميع" وألقيت العصا فى نفس المكان، وكشف المتهم أنه حاول قتل الضحية مرتين قبلها ولم يتمكن من ذلك.

"ذهبت لقلايتى وفى الصباح خرجت إلى الكنيسة حتى لا يشك فى أحد وفلتاؤوس لم ينزل ثم اكتشف الراهب اصابة رئيس الدير وذهبت معه وأبديت حزنى أمام الموجودين لإبعاد الشبهة عنى.

"فى ليلة الواقعة دخل غرفته الخاصة به الساعة 11 مساء وخرج من القلاية الساعة 3:45 صباح يوم الأحد، مضيفا: أثناء خروجى وجدت ناس على البوابة الاولى معارف لى جايين لحضور قداس يوم الاحد ودخلت الكنيسة علشان يحضروا القداس، وطلعت بعد حوالى خمس دقائق قعدت امام باب الكنيسة علشان كنت حران ولقيت أبونا جبرائيل نده عليا وقالى هاتلى أبونا شنودة من جوه الكنيسة ودخلت ندهت له وبعد كده طلعله وقعد شوية ودخل ابونا شنوده وندە على وليد سواق ابونا إبيفانيوس وكانت الطريقة مستعجلة وروحت وراهم علشان نشوف فيه ايه ولقيت ابونا إبيفانيوس واقع على الارض والدم مغرق وشه ووقفنا شويه وجابوا حمالة شالوا جثمانه عليها وكان متوفى وخدناه على العيادة وده كل اللى

...صل، وأنا كنت فى القلاية بتاعتى، وسمعت منهم أن حد ضربه بآلة
...ادة على دماغه وأنا لما شوفته كان غرقان فى الدم.

"أثناء خروجي من قلايته لم أرَ الجثمان نظرا لأن المسافة بين مسكن
...انيا إيفانيوس ومسكني تبعد حوالى 200 مترا، شالوه على النقالة للعيادة،
...وشه كله غرقان دم، وبسؤال المحقق للمتهم عن سبب وجود جرح باليد
...يسرى ناحية الرسغ، قرر إنه جرح نتيجة تقطيع ثمار البصل.

واعترف إشعياء بمحاولته الانتحار أثناء عرضه على الطب الشرعى
...استخدام سكين مطبخ، واقر أنه حاول ذبح نفسه اكثر من مرة ولكن محاولته
...اءت الفشل، مضيفا أن سبب محاولته الانتحار حالته النفسية وخوفه من
...الطرد من الرهبنة والتجريد لوجود تسجيلات جنسية مع سيدات، وقدم
...المتهم هاتفه المحمول للنيابة العامه بكامل ارادته وبالفحص تبين وجود
...محادثات عاطفية وجنسية مع سيدات على تطبيق الواتس اب، وكذلك
...تسجيل صوتى للمتهم بمناسبة عيد الأم يناشد أى أم تريد الزواج او إقامة
...علاقة عاطفية فإنه مستعد لذلك، ونفى إشعياء إقامة أى علاقة جنسية مع
السيدات الظاهرة أرقامهن على هاتفه المحمول، مؤكدًا أنه كان يسعى للزواج
من إحداهن لحبه لها، وقال أن "معظم علاقاته مع السيدات كانت" بوس
وأحضان بس "وأن هناك امرأة واحدة فقط هى التى مارس معها الجنس
3 مرات وحدث حمل"، معترفا بمحاولة الانتحار مرة أخرى بتناول مبيد
حشرى موجود بمسكنه وخاصة بمزرعة الدواجن المسئول عنها.

فلتاؤس المقارى.. المتهم الثانى

مرت الليلة الأولى على قرار الكنيسة تجريد الراهب إشعياء المقارى من رهبته، وفى الصباح التالي دخلت قضية الأنبا إبيفانيوس فصلًا جديدًا إذ أقدم راهبٌ أخر بدير أبو مقار يدعى "فلتاؤس المقارى" على الانتحار.

كان فلتاؤس المقارى قريب الصلة بإشعياء الذى جرى تجريده من رهبته وقد خضع لتحقيقات مكثفة فى القضية إذ كان بين الفريق المعارض لرئيس الدير، حيث ترهب عام 2010 ضمن مجموعة أدخلها البابا شنودة الثالث للدير عقب وفاة متى المسكين فى محاولة منه لتعديل التركيبة الفكرية لآباء الدير وإحكام السيطرة عليه، كما سبق ووقع فلتاؤس المقارى ضمن حملة توقيعات لمنح إشعياء فرصة ثانية لتعديل سلوكه، حيث تراجع البابا عن قرار نقله من الدير، حتى صدر قرار تجريده وطرده من الرهبنة

فلتاؤس المقارى فى الثلاثينات من عمره، وكان يعمل مدرسًا للتاريخ

قبل رهبنته فى مدينة قليوب بمحافظة القليوبية واسمه بالميلاد ريمون رسمى منصور، وبعد رهبنته دأب على إنتاج الأبحاث العلمية المتعلقة بتاريخ الكنيسة القبطية وآبائها الأوائل.

بعد خبر انتحار فلتاؤس، جرى نقله لمستشفى الأنجلو أمريكان بالقاهرة فى محاولة لإسعافه وقد ذهبت للمستشفى فى محاولة للتعرف على حالته الصحية أو الالتقاء بأحد أفراد أسرته، فقابلت عمه الذى أبدى انزعاجه مما تنشره الصحافة من أنباء عن انتحار نجل شقيقه، مؤكدًا أن هناك من حاول قتله بدليل وجود آثار للحروق في جسده، وقد تفهمت ذلك فى إطار الصدمة النفسية التى تمر بها الأسرة، ثم قابلت ممرضة كانت ممن استقبله فور وصوله من وادي النطرون وقالت أن جسده يعاني من آثار قطع شريان ثم كسر في الساقين نتيجة السقوط من أعلى أما الحروق فهي مجرد سجحات حيث يعاني المريض من داء السكري الذى تسبب فى تجلط دمه بهذا الشكل.

تدهورت الحالة الصحية لفلتاؤس المقارى وأصيب بغرغرينا في ساقه حتى جرى نقله لعنبر المحبوسين بالقصر العيني تحت إشراف النيابة، وفى أقواله اعترف بمحاولة الانتحار وقال

" أنا برىء من دم الأنبا إبيفانيوس وعلاقتى برئيس الدير طيبة جدًا، والدليل على ذلك أنه كان مراجع لى كتاب وقدم لى هديه كتابين.

[illegible] سؤال المحقق عما قرره الراهب بترونيوس المقارى النائب [illegible] الدير بالمستندات عن وجود خلافات حول أمور الرهبنة [illegible] الدير، أجاب قائلاً أن هناك بعض الخلافات الإدارية بينه وبين [illegible] وجود بعض الرهبان بالدير يتهجون أفكار القمص متى [illegible] التى يعارض مع فكر الأنبا شنودة الذى كان البطريرك السابق [illegible] هذه الاختلافات من الناحية الدينية هى أن الأول كان متشددًا فى [illegible] الرهبانية وقرر عدم زيارة أهل الراهب له فى الدير نهائيًا إلا أن [illegible] الأنبا شنوده وسطى لا يمنع ذلك أما ما عدا ذلك فلا يوجد ثمة [illegible] شخصية بينى وبينه والدليل على ذلك إننى كنت أصلي معه فى [illegible] الخاص بالأعياد

"رئيس الدير كان يعاملنى كويس جدًا لكن كانت هناك خلافات بينه وبين الرهبان الكبار وليس الرهبان الصغار فقط، وهناك بعض الرهبان كانوا معترضين على كثرة سفر المجتى عليه وإدارته للدير وقاموا بإنشاء جروب على الفيس بوك ولم أشترك فى هذا الجروب وواحد منهم اشترك وانا لغيت الاشتراك من الصفحة"[1].

ثم واجه محقق النيابة الراهب فلتاؤس بأقوال الراهب سرابيون المقارى عن وجود خلافات بين رئيس الدير والرهبان وصلت لحد وضع البراز بمكان الأنبا إيفانيوس، فأجاب فلتاؤس نافيا وقال أن الخلافات كانت

---

[1] المرجع السابق.

بين الرهبان ورئيس الدير بسبب إدارته للدير وعدم الاهتمام بهم وعقد اجتماعات لهم.

وواجهت النيابة الراهب بما قرره المتهم الأول أشعياء المقارى حول تعرضه للظلم الكبير من قبل رئيس الدير، فأجاب الراهب فلتاؤس قائلا الكلام ده غير صحيح، وهناك مبدأ فى الرهبنة يقول "أن الطاعة واجبة حتى لو كان هناك ظلم"، وأن ادعاء أشعياء المقارى ضدي بالاتفاق على قتل رئيس الدير وتجهيز أداة القتل هى محاولة منه لإشراكى فى الجريمة.

واعترف الراهب فلتاؤس أمام النيابة العامة بمحاولته الانتحار باستخدام سكين وقطع بها شرايين يده الاثنين، وقال "ندمت بعد ذلك على هذا الفعل ونزلت سريعًا وركبت سيارتي من أمام قلايتي وتوجهت للعيادة فى محاولة لإسعاف نفسي وأثناء ذلك تقابلت مع عامل السويتش وطلبت منه النداء على طبيب الدير فقال لي إنهغير موجود فصعدت أبحث عنه حتى وصلت للدور الرابع وشعرت بدوخة شديدة من كثرة الدماء وحاولت الإمساك بالسور بيدى الاثنين وتشبثت به ولم استطع الاستمرار على هذا الوضع فسقطت من الدور الرابع وحدثت إصابتى، حاولت الانتحار بسبب الضغوط النفسية التى كنتأمر بها وحادث مقتل الأنبا إبيفانيوس وخشيتي من اتهام الأمن لي فى القضية خاصة بعد توجيه عدد من الرهبان الاتهامات لى بقتل رئيس الدير الأمر الذى قد يقودنى للإعدام.

وأصر الراهب فلتاؤس على نفى جميع الاتهامات الموجهة له بالتحريض أو الاشتراك فى قتل الأنبا إبيفانيوس، وأكد أنه وقت الحادث كان فى قلايته التى تبعد مسافة 2 كيلو متر عن موقع الحادث، وإنه عرف بخبر الوفاة من المتهم الأول أشعياء فى الساعة الخامسة وأربعين دقيقة فجرا عن طريق الهاتف، حيث قال لى نصا "الأنبا إبيفانيوس تنيح" وغرقان فى دمه، فقلت له "بسم الصليب".

فى تلك الأثناء بدا الرأى العام القبطي مصدومًا وغير مصدق لما يحدث فقد كسرت تلك الحادثة الصورة النمطية لرهبان الأديرة، الصورة الطوباوية للرهبان، رجال لله المخلصون، الزاهدون الذين تركوا مباهج الحياة نحو موت عن العالم وفقر اختيارى، تخلى طوعًا عن كل شئ من أجل البحث عن الخلاص مع الرب فى تلك الصحارى القفار التى تمتلئ بأثر شيوخ البرية الأوائل، مؤسسي الرهبنة الذين حملوا على أكتافهم تلك الكنيسة العريقة، فقايضوا مستقبلها بدمائهم.

الصورة الذهنية عن هذا المجتمع المغلق الملئ بالأسرار تتكسر فى عيون شعب الكنيسة، ويرجع ذلك إلى وجود بعد متعلق بالثقافة المسيحية المرتبطة برجال الدين أو بالأخص الرهبان، ففى الموروث الثقافى القبطى هنالك مكانة كبيرة لرجال الدين، باعتبارهم أفراد "ماتوا عن العالم" ووهبوا ذواتهم لخدمة الإيمان والصلاة والتعبد فى الجبال، فتكونت صورة طوباوية، نقية لا تشوبها شائبة عن جميع مرتدى عباءة الرهبنة، فبالتالى يصعب على الأفراد

المسيحيين الاعتقاد بأن أحد المتنصرين أو القريبين من هؤلاء (الملائكة) قد يقدم على ارتكاب فعل شنيع أو شر عظيم".

البابا تواضروس يغضب مجددًا

بعدها بيومين، جاء موعد العظة الأسبوعية للبابا تواضروس التى يلقيها على شعب الكنيسة كل أربعاء، طمأن البابا تواضروس الثانى الأقباط، قائلا: "كل أديرتنا بخير، فلا تهتز، وحين وقع الحادث المؤلم الذى وقع للأنبا إبيفانيوس، انظروا له كجريمة، وأي جريمة بها مجنى عليه وجانى، سواء أكان 10 أو واحد لا نعرف، والتحقيقات فى الجريمة أمر عادى جدا، والغرابة إنها وقعت فى دير وفى حق رئيس دير، وبها مجنى عليه وهو الأنبا إبيفانيوس وجانى لا نعرفه حتى اليوم".

"أى تحقيق تعمل عليه النيابة، يصبح هناك قضية وحكم، ومفيش حاجة للخواطر، "الجرائم مفهاش خواطر وليس لصالح أحد أن يتستر على أي خطأ، وأصدرنا قرارات لضبط الأداء الرهبانى وسنصدر قرارات أخرى وعلى شعب الكنيسة أن يساعدنا فى ذلك".

"البعض تسيب، نعم حدث تسيب، والراهب يعيش في الدير لأنه هو الذي اختار الحياة، مفيش واحد ضربناه على ايديه قولناله روح الدير، وهو السبب في قبول أي أخوة أو رهبنة وأوقفنا الدرجات الكهنوتية في الأديرة، عبر التاريخ، هناك رهبان سقطوا في الخطيئة ضاربا المثل: ألهم القديس يوحنا ذهبي الفم سقط راهب في خطية فترك الدير من نفسه، والقديس يوحنا كان يعلم إنه سقط عن ضعف وصغر نفس، وسقط في بالوعة اليأس، فكتب له يوحنا ذهبي الفم رسالة ترجمت في كتاب بجمل اسم "ستعود بقوة أعظم" فقرأ الرسالة وتاب بالدموع وعاد لديره ولم يخرج منه إلا بالدموع".

"القصص في التاريخ الرهباني كثيرة، والحروب أيضا كثيرة، ذهب راهب لمعلمه وقال له "مللت من الدير لأن اخوتي يضايقونني كثيرًا وأسمح لي أن أبني قلاية خارج الدير"، فرد عليه رئيس الدير: "إن لم تكن تحتمل مضايقات الأخوة فكيف تحتمل محاربات الشياطين؟"، مشيرا: في كل مجتمع يظهر يهوذا، وفي كل 12 شخص يظهر يهوذا، يهوذا يمثل الخيانة بكاملها، ولكن هناك من يخون بنسبة 40 % أو 10 %، وهناك خائن مثل يهوذا، فلا تهتزوا يا أخوتي، لا تهتزوا أبدا، هناك الله ضابط الكل.

"لا تهتزوا سواء واحد انتحر أو متحرش، وهو نفس ما فعله يهوذا حين خان أستاذه وأعرفوا أيها الأحباء إننا في الكنيسة لدينا ضمير ومسئولية أمام الله ولا نتحرك بفكر العالم أو سياسات العالم، وانتبهوا إلى الصفحات الصفراء".

"تذكر الله ليس لدينا ما نخفيه ومن يحمي الإيمان هو المسيح "مفيش حاجة اسمها كدا خالص، الإيمان ليس سلعة لكي نحميه، والرئيس السيسي ذكر إن مصر تعرضت في شهر واحد لـ21 ألف شائعة في 3 أشهر وهي كلها ضد البلد والاقتصاد والسياسة والكنيسة".

اعرفوا أيها الأحباء، قيمة الأديرة القبطية في حياتنا الروحية، وقيمتها في مصر، الأديرة واحات صلاة تصلي للعالم كله، وهي حارسة لحدود مصر، وكلمة راهب تعني إنسان يرهب وجه الله، جعلت الرب أمامي في كل حين، مضيفا: نحن كبشر مازالنا تحت الضعف البشري، وقد اختص المسيح بعض تلاميذه

وتذكر البابا تواضروس يهوذا وقال: "حين سألوه، قال إن كل التعاليم نسيها والمعجزات لم تدخل قلبه، لقد دخل فيه الشيطان، وعدو الخير يحاربنا، فمن خرج من العالم، ودخل إلى الدير، ومسئوليتكم جميعا أن تحافظوا على نقاوة الرهبان والراهبات حتى مكالمة "التليفون" ملهاش لازمة، أو الهدية أو الزيارة "ملهاش لازمة"، لابد للكنيسة أن تضبط باستمرار الحياة الرهبانية، وهو أمر لا علاقة له بالقرارات التي اتخذناها بعدما اجتمعت لجنة الأديرة في ثلاث ساعات، واتخذنا تلك القرارات ولم أتخذها كبابا الإسكندرية منفردا".

"لدينا لجنة مجمعية تختص بشئون الرهبان والرهبنة والأديرة وتحدث مشكلات كثيرة وتحلها، والتي تحتاج تحقيق نحقق فيها ولا أحد يعلم

شيئا، ولدينا خطوات تتخذها لإصلاح حياة الراهب أو الراهبة، أحيانا ننذره وأحيانا ننصحه داخل ديره، وأحيانا يأخذ قانون يطبقه داخل قلايته "سكنه"، وأحيانا ننقله دير ثاني، وحين ينتقل راهب من ديره يعني إنه انتقل من عائلته، وأحيانا ينقل نهائيا حسب نوع الخطأ، وأحيانا يحدث التجريد أو الشلح إن كان كاهنا وهي خطوات لازمة لضبط الحياة الرهبانية "الدنيا متبقاش سايبة".

الصائد فى الماء العكر.. الأنبا اغاثون

لم يتوقف الأنبا أغاثون أسقف مغاغة عن محاربة البابا تواضروس وتوجهاته الإصلاحية، ولا يترك أى مناسبة أو فرصة يمكن استغلالها لتحدى البابا إلا ويستخدمها ضده، فى الوقت الذى هاجم فيه البابا جماعة كنسية تلقب نفسها بـ"حماة الإيمان" دأبت على الهجوم على توجهات البابا وأفكاره عبر صفحات السوشيال ميديا، وأرسل لهم رسالة واضحة فى عظته الأسبوعية، حيث قال: "الإيمان ليس سلعة لكى نحميه وحامى الإيمان هو المسيح"، أراد الأنبا أغاثون الرد على تلك العظة بل وقرارات لجنة شئون الأديرة التى سبقتها على طريقته.

تبدو نية أسقف مغاغة للهجوم على البابا واضحة بل ومبيتة، حيث جرى التنسيق مع قناة "مى سات" الكنسية التى تبث فضائيًا ويشاهدها

الملايين لنقل عظته من أحد كنائس مغاغا فى نهضة السيدة العذراء، رغم إن القناة تبث يوميًا احتفالات دير السيدة العذراء بدرنكة فى تلك الفترة من العام التى تشهد صوم العذراء ومولد درنكة بأسيوط، إلا إنها انتقلت بمعداتها وفنييها إليه من أجل إذاعة تلك العظة التى كانت بمثابة دقة جديدة فى طبول الحرب العلنية بين الأسقف والبابا التى بدأها من ناحيته دون أن يرد البابا عليه ولو تلميحًا.

فى عظة الأنبا أغاثون المثيرة للجدل التى حملت اسم "أعمدة الكنيسة الخمسة" والتى لم تكن عظة ارتجالية بل كان الأسقف يقرأها من ورق أعده مسبقًا قال إن الكتاب المقدس وصف رسله "بالفلاحين والمزارعين والسقاة والفعلة وحماة الإيمان" معقبًا "صحيح حامى الإيمان هو الرب، ولكن من آتمنه الله على الإيمان لا بد أن يحميه ويحرسه، الحارس هو الرب لكن من خلال الوكلاء، بولس قال إنه حامى الإنجيل".

واستشهد الأنبا أغاثون برسالة بولس الرسول لأهل فيلبى حين قال: هناك آية وردت مرتين فى رسالة بولس لأهل فيلبى "كَمَا يَحِقُّ لِي أَنْ أَفْتَكِرَ هذَا مِنْ جِهَةِ جَمِيعِكُمْ، لأَنِّي حَافِظُكُمْ فِي قَلْبِي، فِي وُثُقِي، وَفِي الْمُحَامَاةِ عَنِ الإِنْجِيلِ وَتَثْبِيتِهِ" معقبًا: الرسل والكهنوت حماة للإيمان

واعتبر أسقف مغاغا إن هؤلاء الآباء - ويقصد آباء الكنيسة - مسئولين أمام الله عن أملاكها ونفوسها وعقائدها وإيمانها وتمثيل الكنيسة نيابة عنها، مضيفًا: "لذلك المطلوب منا كآباء وشعب من جهة إيمان كنيستنا وعقائدها

إن نعيش الإيمان بالأفعال والأقوال لا بالتشكيك".

الأبا أغاثون حذر مما وصفه بالمدارس الحديثة والتيارات الفكرية الخاطئة، ويمكن تفسير حديثه فى الوقت الذى يروج فيه الكلام عن مدرستين كنسيتين الأولى التقليدية والثانية مدرسة التجديد التى ينتمى لها البابا تواضروس، يقول الأسقف: "مطلوب منا ليس فقط أن نعيش الإيمان بل أن نحافظ على إيمان الكنيسة من المدارس والتيارات الخاطئة الحديثة، كما أوصانا المسيح بواسطة رسله"، حين قال: "علموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به"، الحفظ هنا يعنى التطبيق، والحفاظ عليه، نحن مطالبون بالحفاظ على إيمان كنيستنا كما سلم لنا.

وفسر أسقف مغاغة حديثه قائلًا: لأن الإيمان ليس نظريات علمية، تحتاج تبديل وتطوير تناسب الإنسان وعصره، والتجديد فى ثوابت الإيمان مرفوض، لأنه يتسبب فى هدم الإيمان وضياع روحيات الناس والإلحاد، مضيفًا: "نجدد فى الأسلوب أو الطريقة مفيش مانع، ونجدد فى الأشخاص مفيش مانع، إنما نجدد فى الثوابت لا مينفعش".

وعاد الأنبا أغاثون للاستشهاد بأقوال بولس الرسول وهو حين خاطب أحد تلاميذه قائلًا: "مقدما فى التعليم نقاوة"، موضحًا: "يعنى متبقاش حاجة داخلة فى التعليم مش مظبوطة، الإيمان أودعه الله لأناس أكفاء يكونوا أمناء ليعلموا آخرين أيضا، لكى يوصلوا إيمان الكنيسة، لكن ميبقاش واحد إيمانه مش مظبوط ونقوله عالم دا هيبوظ الإيمان".

وزاد الأنبا أغاثون قائلًا: "لا تفرط فى إيمانك أبدا ولا تسمع لمن يعلم خطأ، نحن مطالبون بالدفاع عن إيماننا فى أوقات الهجوم عليه والتشكيك فيه وذلك بتقديم التعليم الصحيح وبالطرق المشروعة".

فى حين واصل الأنبا أغاثون هجومه على قرارات المجمع المقدس والتى كان آخرها إيقاف الدرجات الكهنوتية بين الرهبان لمدة ثلاث سنوات، معتبرًا الكهنوت أحد أعمدة الكنيسة، قائلًا: "من خلال الكهنوت وعمله يتم تقديس الأسرار الكنسية، والصلوات الطقسية ويصل خلاص المسيح للناس، فلا غنى إطلاقا عن الكهنوت لمناهج وعمله فى الرعاية والخدمة".

استغل الأنبا أغاثون الهجوم الضارى الذى يشنه التقليديون على القس الدكتور باسيليوس صبحى وكيل الكلية الإكليريكية وهى الكلية التى تقدم العلم اللاهوتى والدينى للكهنة، وقال إن الكنيسة تحتاج تتماشى مع إيمان الكنيسة وعقائدها وليس العكس، وتحدث عن معلمى الكلية الإكليريكية ملمحًا: "ولا يكون لهم علاقات أو ميول مع المدارس الحديثة والتيارات الخاطئة، لكى يستطيع أن يقدموا تعاليم صحيحة تعد قادة فى رتب الكهنوت لخدمة الكنيسة وشعبها، وتواجه المدارس الخاطئة وأصحابها".

البابا شنودة يطل من قبره

هدوء مؤقت شهدته الكنيسة عقب انتهاء التحقيقات فى قضية مقتل الأنبا إبيفانيوس رئيس دير أبو مقار، ثم ظهر الأنبا سرابيون مطران الكنيسة القبطية فى لوس أنجلوس فى حوار تليفزيونى أذاعته قناة لوجوس القبطية التابعة للكنيسة رسميا - التى تبث من أمريكا - فى حلقة بعنوان "مقتل الأنبا إبيفانيوس" لتكسر حالة الهدوء وتعيد الكنيسة للقلق من جديد فى الثامن والعشرين من أغسطس الماضي.

رفض الأنبا سرابيون مطران لوس أنجلوس إرجاع أسباب قتل الأنبا إبيفانيوس للخلافات العقائدية أو ما يمكن تسميته اصطلاحًا الخلاف بين فريقى البابا شنودة والقمص متى المسكين الذين يعيشون معًا بين أسوار دير واحد، حيث برّأ الأنبا سرابيون البابا شنودة من أية أخطاء إدارية قد يكون ارتكبها أثناء إدارة ملف دير الأنبا مقار، وقال المطران إن الذين يشيرون إلى وجود خلاف عقيدى بين رهبان الدير يحاولون التنفيس عما فى صدورهم

ضد البابا شنودة قائلًا: "لا وجود لرهبان شنوديين ومتاوين وهو أمر لا أساس له من الصحة"، لأن بعض الرهبان ليس لهم آراء لاهوتية محددة حتى إن الراهب المجرد "إشعياء المقارى" المتهم بالقتل"، قد ظهر من قبل على قناة بروستانتية وشاركهم الصلاة بوضع اليد على الهاتف وإن كان البابا شنودة حيًا لحقق معه ونال جزاءه، فتوجهات البابا شنودة معروفة فى هذا الأمر، فلماذا يوصف الراهب بالشنودى.

ووفقا للأنبا سرابيون فإن القمص متى المسكين وضع نظامًا رهبانيًا له مميزاته وله عيوبه فقد حاول إعادة الرهبنة لعصورها الأولى ويقول "حين كنت راهبًا فى دير الأنبا بيشوى كان يأتينا رهبانا من دير الأنبا مقار لأنهم لا يستطيعون احتمال هذا النظام"، وهو نفس التعليق الذى ذكره البابا شنودة فى تسجيل قديم له حين سألوه عن رأيه فى دير الأنبا مقار، محذرًا من الانضمام لهذا الدير الذى يخرج رهبانًا يتلقون علاجًا نفسيًا.

سرد الأنبا سرابيون – من وجهة نظره – ما حدث عقب وفاة القمص متى المسكين، فقد حدث خلل فى النظام الرهبانى، وطلب الأنبا ميخائيل رئيس الدير إعفائه من مهمة الإشراف عليه، فما كان من البابا شنودة إلا أن أراد الإشراف على الدير بنفسه من "محبته للدير"، وهو الأمر الذى ينفيه التاريخ والوقائع بل وتسجيلات بالفيديو لعظات البابا شنودة نفسه ينصح فيها شباب الأقباط بالبحث عن أديرة أخرى إذا ما أرادوا الرهبنة.

الأنبا سرابيون أعفى البابا شنودة تمامًا من مسئولية "رسامة الرهبان"، حيث عمل البابا على رسامة دفعتين من الرهبان أحدهما دفعة 2010 التى ينتمى لها الراهبين "إشعياء" و"فلتاؤس" القارى المتهمين بالقتل، إذ اعتبر أن مهمة البابا هى صلاة الرسامة فقط

"دخول الدير هى مسئولية من أدخلوه ثم حدث انحراف فى حياة هؤلاء الرهبان متسائلا عن مدة الـ6 سنوات التى قضاها الأنبا إبيفانيوس رئيسا للدير من 2013 حتى 2018 لماذا لم يتم علاج هذه الانحرافات؟"، ثم ألقى المسئولية على من رسمه مستشهدًا بالسيد المسيح فهو ليس مسئولًا عن خطية "يهوذا"، على حد تعبير الأسقف، ولجنة الرهبنة أدانت إشعياء القارى فى فبراير الماضى، وأصدر البابا تواضروس قرارًا بنقله من الدير لمدة ثلاث سنوات"، وأشار إلى واقعة جمع إشعياء لتوقيعات من 43 راهبًا طالبوا بالإبقاء عليه بينهم، معتبرًا أن هذا الأمر دليل على وجود حزم فى الأمور لأن الكنيسة لا تدار بالالتماسات الموقعة من الرهبان، مما دفع البابا تواضروس لإصدار قرارات حاسمة ضد هذا النسيب.

وعاد مطران لوس أنجلوس مرة أخرى إلى التأكيد على أن وجود فريقين من الرهبان "شنوديين ومناوبين" يعتبر تزييفًا للحقائق وقال "أوقات الدير يترك رهبانه يصولون ويجولون خارجه دون ضبط".

تصريحات الأنبا سرابيون التى لاقت قبولًا لدى أقطاب التيار التقليدى فى الكنيسة من تلاميذ البابا شنودة، دفعت القس يوئيل القارى الراهب بدير أبو مقار للحديث عنها فى تسجيل صوتى أرسله للأنبا سرابيون إلا

أن الأخير سرب التسجيل على الانترنت وبدأ تداوله بشكل مفاجئ على مواقع التواصل الاجتماعى.

التسجيل الصوتى الذى وقعه الراهب يوئيل باسمه فى النهاية، قال فيه إن المشكلة ليست عقائدية ولا لاهوتية بالفعل، ثم بدأ فى تفنيد أقوال المطران والرد عليه مؤكدًا أنه وزملاءه كانوا يعيشون حياة رهبانية حقيقية مع القمص متى المسكين، فهناك من لم يحتملوا هذه الحياة فذهبوا الدير الأنبا بيشوى وهو كلام قد لا يكون فى صالح "أبونا متى"، ولكنه يعنى إننا عشنا حياة رهبانية صادقة، مضيفًا: 30 راهبًا أو أكثر تركوا الدير ولكن 80 وأكثر استمروا فيه.

كشف القس يوئيل المقارى، فى تسجيله عن جلسة جمعته بالآباء أساقفة الكنيسة فى نفس يوم الحادث حيث تم تكليفه بذلك وقال: "أبلغت الأساقفة أن التسيب الذى وقع فى الدير بعدما دخله البابا شنودة الثالث ويقصد زيارة البابا شنودة للدير عام 2009 وإخضاعه له"، "هذا التسيب هو ما تسبب فى ما حدث"، وكانت هناك مجموعة من الرهبان يرغبون فى حياة الفوضى تحت ادعاء الحرية وحتى فى حياة القمص متى، لقد سمعتها من أحدهم: فاكرين الدير هيبقى ليكم انتوا، انتوا كبرتوا فى السن وهتموتوا والدير هيبقى لينا إحنا"، ماذا يقصد بهذا الكلام هل سيستمر الدير لاهوتيًا أم سيعيشون حياة الفوضى، فقد كان بيننا من يعيش بهذه الروح فى الدير وينتظرون فرصة الانفلات الرهبانى وهذا ما تم لهم، القمص متى توفى، وانتظروا هذه الفرصة التى أتاحها لهم البابا شنودة حين قال لهم أشياء كثيرة

من بينها "لا تستمعوا لكلام الشيوخ الكبار" ويقصد آباء الدير القدامى، الأباسرابيون راهب وأب للرهبان ويؤسس دير ويستطيع تقييم خطورة هذه العبارات، فالبابا شنودة قال لنا "أنا جاى أخرجكم من القمقم اللى كنتم فيه"، فسألته أى قمقم تقصد يا قداسة البابا؟ مستنكرا هل الرهبنة قمقم؟، الرهبنة التى يسميها البابا تواضروس رهبنة الكفن هل هى قمقم؟، ألم يدخلها الراهب باختياره، وما جرى فى الدير ليس حرية بل خطية وكل من يعمل الخطية عبد للخطية؟ أى حرية يدعو لها؟

لم يكن لدينا أى ملكيات خاصة أما اليوم فالرهبان لديهم سيارات هذا هو الخروج من القمقم، الرهبان امتنعوا عن العمل، واستباحوا الخروج والدخول من الدير دون أى قيود والمبيت عند أهلهم وربما غير أهلهم وربما حدثت أشياء سيئة أعتذر عن ذكرها، وهذا كله وقع بعدما أعطى البابا شنودة الضوء الأخضر لهذه التصرفات الحمقاء.

ما عشناه مع القمص متى المسكين هو نفس ما قننه البابا تواضروس فى قراراته الـ12 لضبط الرهبنة، وهو نفس الورقة التى قدمها رهبان دير الأنبا مقار لمؤتمر الرهبنة الأول فى الكاتدرائية، وهذا ما عشناه ونتمنى أن يستمر، "سأذكر قصة يندى لها الجبين، كنا نجلس مع مجموعة من الأساقفة فى مؤتمر الرهبنة واستمعنا لما قيل عن الكهنوت ومرتبات الرهبان، فقد كانوا يتساءلون متى نرسم (نعين) الراهب قس أم قمص؟، وهو ما لم نعيشه مع القمص متى، فقد رسم (عين) عدد قليل من الرهبان كهنة لمساعدة الأب كيرلس المقارى، أما أنا فرسمت كاهنًا بعد 37 سنة رغمًا عن أنفى،

وكان الكهنوت دون مرتبات فلم نحصل على مرتبات فى أيدينا، وكانت رواتبنا 150 جنيها، ولكن المال دخل ديرنا وهو أصل كل الشرور، وتسبب فى هذا الشر الجسيم وحدث ما حدث، الرهبان بحثوا عن المال وأقاموا علاقات مع الجنسين والخ.

كان الأنبا إبيفانيوس حزينًا جدًا حين رأى كل ذلك، سمع قداسات فى الحصن، وتساءل ماذا سأفعل فى تلك التركة؟، هل أستطيع أن أمنعهم؟، وذهب قداس يوم الأحد الجميل الذى كان يجمع كل الرهبان، كان الأنبا إبيفانيوس رقيقًا جدًا وبصعوبة يتخذ أى قرار ونحن لا نستحقه فمكانه فى السماء، مضيفا: هذه الجفوة الروحية وسعت للمنفلتين فرصة الحرية والانفلات والخروج من الدير وجمع الأموال وامتلاك السيارات، وتجديد القلايات والأسقف إبيفانيوس صامت ماذا سيفعل بهؤلاء الذين حصلوا على هذه الحرية من البابا السابق؟

بعدها بيوم واحد فقط، تقدم الأنبا سرابيون مطران لوس أنجلوس بشكوى رسمية للجنة شئون الرهبنة يتهم فيها القس يوئيل المقارى، بالنيل من البطريرك الراحل البابا شنودة الثالث، الأمر الذى دفع المقارى لنشر اعتذار خطى مكتوب يؤكد فيه أن التسجيل المسرب كانت إجابة منه لشخص ما استفسر عما ذكره الأنبا سرابيون فى حواره التليفزيونى، معتذرًا عما وصفه بالإساءة غير المقصودة للبابا شنودة قائلًا: "أكن له كل احترام وتقدير لأنه أبو الكنيسة"، ولكن هذا الاعتذار لم يعفي المقاري من قرار الايقاف عن ممارسة الكهنوت لمدة عام كامل.

حرب المستندات الكنسية

على نفس الصفحات على موقع فيس بوك التى سبق وحذر منها البابا تواضروس انتشرت تسريبات تتهم الراهب القس يوئيل المقارى، بالضلوع فى أزمة دير آخر وثيق الصلة بدير الأنبا مقار، هو دير الأنبا مكاريوس بوادى النطرون غير المعترف به كنسيا حتى اليوم، إذ كان الدير الواقع فى زمام محمية وادى الريان الطبيعية بالفيوم، ضمن أديرة عمرها وأقام بها القديس متى المسكين مع جماعته الرهبانية عام 1950، وكان من بينهم الراهب القس البشع المقارى الذى سيحاول إعادة الحياة الرهبانية لهذا الدير مرة أخرى بعد سنوات من هجره وتحديدا عقب وفاة القمص متى المسكين.

التسريبات التى انتشرت كانت مستندات مرسلة للكاتدرائية المرقسية بالعباسية موقعة باسم "مجموعة من رهبان دير أبو مقار" بتاريخ 20 سبتمبر 2008 أى بعد عامين من وفاة القمص متى المسكين، وتتهم الراهب القس

يوئيل المقارى برسامة رهبان فى دير الأنبا مكاريوس بوادى الريان، وهو أمر مخالف لقرارات المجمع المقدس.

المستندات المسربة ضمن الحرب الدائرة ضد القس يوئيل المقارى، تتهمه أيضا بالمشاركة فى إنشاء دير راهبات بوادى النطرون مع الأب إلبشع، وبيت للمغتربين فى القاهرة، إلا أن ظهور هذه المستندات جاء كرد فعل لما قاله القس يوئيل عن البابا شنودة.

لا تؤمن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بمبدأ العصمة البابوية، الذى هو عقيدة كاثوليكية تم إقرارها فى المجمع الفاتيكانى الأول عام 1870، وتقر هذه العقيدة بأن البابا له سلطة شرعية على الكنيسة الكاثوليكية كلها، لذلك وتحت شروط محددة فهو منزه عن الخطأ من قبل الله فى مايخص قضايا تعليم الإيمان والأخلاقيات التى أرادها الله للكنيسة، المبدأ الكاثوليكى السابق كان من بين المبادئ التى رفضها القس مارتن لوثر فى ثورته الإصلاحية ضد تعاليم كنيسته والتى انتهت بالانفصال عنها وتأسيس الكنيسة الإنجيلية منذ نصف قرن.

فيما تكشف الأحداث المتابعة أن جماعات كنسية تنشط على مواقع التواصل الاجتماعى ولها صفحات محددة ومعروفة بالاسم، تروج دون وعى لمبدأ العصمة البابوية، فهى تساوى تفاسير وآراء وأفكار البابا شنودة بالعقيدة نفسها، ومن ثم تعتبر كل من اختلف معه مارقًا وينبغى محاكمته.

زينون المقارى.. وفاة غامضة أخرى

بعد حرب المستندات بأيام، دخلت قضية الأنبا إبيفانيوس نفقًا جديدًا، أعلنت الكنيسة يوم الأربعاء السابع والعشرين من سبتمبر 2018 وفاة الراهب القس "زينون المقارى" بشكل غامض فى قلايته (سكن الراهب) بعدما تم نقله من ديره بوادى النطرون إلى الدير المحرق فى الصعيد، وكأن لعنة حادث قتل الأنبا إبيفانيوس تطارد من اختلفوا معه فى كل مكان وفى أى وقت.

زينون الذى توفى فى غرفته بالدير المحرق بأسيوط بعدما شكا آلامًا مبرحة بالبطن، كان يطبق قرارًا من لجنة الأديرة بالمجمع المقدس، التى قررت نقله خارج دير أبو مقار بالنطرون بعدما كان جزءًا من جبهة اعتادت إثارة المشكلات مع رئيس الدير المقتول.

الراهب زينون المقارى اسمه بالميلاد فريد شحات فهيم فرج الله من

مواليد الجيزة فى 1 مارس عام 1975 وهو حاصل على ليسانس آداب قسم لغة فرنسية، وانضم لدير القديس الأنبا مقار بوادى النطرون عام 2006 وهو العام الذى توفى فيه القمص متى المسكين، وخدم "زينون" فى مضيفة الدير ثم فى المخبز، ثم عمل كمترجم للسياح زوار الدير خاصة عن اللغة الفرنسية، وتم تكليفه بالكتابة عن دير أبو مقار باللغة الفرنسية حيث يهتم دير أبو مقار بالتواجد الدولى فى المحافل البحثية اللاهوتية.

فى فبراير 2010 ترقى زينون لدرجة القس حيث قرر البابا شنودة منحه درجة الكهنوت مع عشرة آخرين وذلك فى أعقاب سيطرة على الدير وإعادته لسطوة الكنيسة مرة أخرى عقب وفاة القمص متى المسكين الأب الروحى لرهبان الدير، من بين من حصلوا على نفس درجة الكهنوت "قس" مع زينون المقارى، الراهب القس يعقوب المقارى الذى ترك دير الأنبا مقار وأسس دير الأنبا كاراس واستولى عليه وأصدرت الكنيسة قرارًا بتجريده من رهبانيته وشلحه بعد فشل محاولات استتابته وإعادته لها، وكان زينون ينتمى لجبهة الرهبان الشنوديين، الذين اعتادوا افتعال المشاكل مع رئيس الدير المقتول الأنبا إيفانيوس.

فى العام 2017 تم ندب الراهب القس زينون المقارى للخدمة فى باريس، حيث كان يصلى فى كنيسة مارمينا وأبو سيفين بكولومب تحت إشراف الأنبا مارك أسقف باريس، ونظرًا لندرة من يجيدون اللغة الفرنسية فى الكنيسة القبطية، فإن الكاتدرائية تنتدب من وقت لأخر رهبان يجيدون

لغة الدولة المكلفون بالخدمة فيها أو كهنة حتى يتسنى لهم الصلاة باللغتين العربية والفرنسية.

خدم زينون فى الكنيسة القبطية بفرنسا فترة قصيرة مستغلًا طلاقته فى اللغة واهتم بخدمة الأطفال الذين لا يعرفون العربية ولا ينطقون بها ثم قرر لعودة لدير القديس الأنبا مقار دون أن يتم الإعلان عن الأسباب.

وقال الأنبا مارك أسقف باريس فى فيديو يظهر فيه حفل توديعه بالكنيسة أن القس زينون تمتع بأخلاق رفيعة وتفانى فى الخدمة ولكنه اشتاق للعودة لديره قبل أن تنتهى فترة تجربته هنا، ثم قال زينون فى الفيديو نفسه أنه عائد إلى مصر بكامل إرادته ولم يحدث أى خلافات بينه وبين الأنبا مارك الذى يشاركه الصلاة داعيا الجميع لمسامحته والغفران له أن أخطأ وزيارته بدير الأنبا مقار حين يعودون لمصر فى أى إجازات.

فى فبراير 2018 يظهر اسم زينون مرة أخرى فى مستند كنسي، وتحديدًا فى الخطاب الذى يخص "إشعياء المقارى" المتهم بقتل الأنبا إبيفانيوس، حيث نشر الخطاب فى أحد المواقع الإلكترونية التى تدار من التيار المعادى للبابا، الخطاب كان توقيعات لـ45 راهبًا يطلبون من الأنبا إبيفانيوس الصفح عن "إشعياء المقارى" بعد صدور قرار باباوى بنقله لدير الزيتونة بالعبور فى أعقاب التحقيق معه من لجنة باباوية.

هناك من يروى أن زينون المقارى كان من بين من تدخلوا للصفح

عن "إشعياء" لدى الأنبا إبيفانيوس من أجل تهدئة الأجواء خاصة وأن "زينون" راهب قس بينما إشعياء مجرد راهب فقط، فإن النظام الكنسى يسمح لزينون أن يصلى ويرأس القداس بل ويستمع لاعترافات الآخرين ضمن سر الاعتراف الكنسى ومن ثم قيل أن القس زينون كان أب اعتراف الراهب إشعياء المقارى.

ضمن أوراق التحقيقات فى قضية مقتل الأنبا إبيفانيوس، ذكر الراهب فلتاؤس المقارى المتهم الثانى فى القضية اسم الراهب زينون وقال أنه كان من بين الرهبان الأعضاء فى جروب على "واتس أب" ضمه مع 17 آخرين.

حاول البابا تواضروس إصلاح ما أفسده الزمن فى دير الأنبا مقار الذى تحول مع التحزبات والصراعات الداخلية إلى ساحة حرب، لم يستطع الأسقف المغدور الأنبا إبيفانيوس السيطرة عليه بوداعته وطيبته إذ لم تسمح له طبيعته كباحث متعمق وراهب حقيقى الانخراط فى مثل هذه الأحداث الجارية حوله، فقد كان دائم النصح للرهبان يطلب منهم الابتعاد عن شهوات الحياة وهمزات الشياطين يستنكر رغبات الرهبان فى الاستحواذ على المناصب والترقية للكهنوت ويرى أنها شهوة فانية وحرب أن عرفت طريقها للرهبنة ضاع معنى الفقر الاختيارى والموت عن العالم من أجل البحث عن الله.

البابا تواضروس قرر إصلاح الرهبنة وإعادتها لحياة الانضباط مرة آخرى واثقا فى قدرة الكنيسة الكبيرة على رأب أى صدع ومواجهة أى

أزمة بعدما مرت بآلاف المشاكل والأزمات عبر التاريخ متمسكة بقوتها ووحدتها وتماسكها الذى تروى عنه القصص والمرويات، كنيسة عمرها الفاسنة لن يهزها حادث، هى كنيسة الله ووديعته.

بموجب قرار البابا تواضروس انتقل "زينون" إلى الدير المحرق بمركز القوصية بمحافظة أسيوط، دير آخر ذو طبيعة مختلفة، أديرة الصعيد لا تشبه أديرة الوجه البحرى فلكل شيخ طريقته ولكل صحراء شيوخها، فى الدير الذى شهد بناء أول مذبح لكنيسة على أرض مصر ذهب "زينون"، الذى شهد له زملائه بالهدوء وتقبل القرار ولكنه كان منعزلًا حتى يألف حياته الجديدة مع إخوته الرهبان الجدد.

هناك من يريد أن يحمل البابا تبعات الوفاة الغامضة للراهب رغم أن البابا تواضروس كان محقًا حين قرر إبعاد كل من له علاقة بالقضية عن مسرح الأحداث حتى يعود لدير الأنبا مقار هدوئه وصفائه مرة آخرى، لم يخطئ البابا حين أراد إصلاح الرهبنة القبطية وإعادتها لمسارها الصحيح ولكن بعض الأطراف تحاول تحميله تبعات قراراته الإصلاحية التى لا بد وأن تهدد مصالح اقتصادية وتحالفات داخل الكنيسة، فتسعى تلك الأحزاب المتضررة من الإصلاح للتمترس ضد البابا وتهييج الرأى العام القبطى ضده، وهو رأس الكنيسة الأكبر والمسئول الأول عنها فى أداء منظم وممنهج على طريقة المؤامرات، دون النظر إلى أن كل ما يحدث يضر بالكنيسة نفسها.

فى أربعين الأنبا إبيفانيوس

وفى الكتاب التذكارى الذى وزعته الكنيسة القبطية على الحاضرين فى الذكرى الأربعين لرحيل الأسقف الأنبا إبيفانيوس، كتب رهبان الدير وآباء وقساوسة الكنائس المسيحية الأخرى شهادتهم عن الفقيد الذى كان أحرص الأساقفة على التواصل مع كافة الكنائس المسيحية ومن بين أشهر ما كتبوا فى هذا الكتيب القس سامح موريس راعى الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، الذى اعتبر أن مقتل الأسقف الراحل جاء بسبب ما وصفه بالعمى والجهل الذى أدى للكراهية بين المختلفين فى الدين، والمختلفين فى الطائفة وامتدت ليشمل المختلفين فى الفكر داخل الدين والطائفة والكنيسة وحدها.

ووجه موريس رسالة للقاتل كتب فيها: "أنت تظن يا عزيزى القاتل وأنت تكسر قارورة الطيب أنك بهذا الفعل الخسيس تفسد الطيب، ولكنك لا تعلم أنك بهذا جعلت الطيب يفوح فى أرجاء كنيسة مصر، بل فى كل العالم،

أحب الأنبا إبيفانيوس الجميع، وهكذا فعلوا به ظانين أن حبه انتهى بحجر وراء حجر، لكن الأنبا إبيفانيوس قدم نفسه شهيدًا للمحبة، وعلى الكنيسة كلها أن تتوقف أمام هذا الحادث الجلل وأن يكون عبرة للتاريخ

فيما كتب الأب جون جبرائيل أحد رهبان وعلماء دير الآباء الدومنيكان بالقاهرة شهادته تحت عنوان "هل أطفأت طيور الظلام نور الكنيسة وكوكب البرية؟"، وجاء فيها أن إن القاتل ومَن دفعه هم من أولئك الذين سمحوا للكراهية والحقد بأن يعششا فى قلوبهم، وللتعصب أن يعمى أبصارهم، بعد أن ارتووا من تعاليم أساقفة جهلة ادعوا العلم وادعوا معرفة اللاهوت وادعوا القداسة بحركات بهلوانية خادعة فى وسط شعب تنهش الأمية المدنية والدينية فى عقله ولحمه.

ورأى الدومنيكانى، أن تلك الجريمة دليل على اقتراب كنيسة مصر من كنيسة العصور الوسطى لأن يد الاغتيال طالبت الأنبا إبيفانيوس وأوقفت إنتاجه الفكرى مختتما شهادته: "مقتل أبينا إبيفانيوس هو تهديد سافر لكل من تسول له نفسه قول الحق وفضح الزيف فى الكنيسة".

هدنة مع الدير

بعد كل تلك الأحداث المتعاقبة وبمجرد أن سمح الأمن بزيارة الدير، تواصلت مع أحد رهبان الدير وقررت زيارته مرة أخرى بعد زيارة سابقة سريعة، ولعلها الزيارة الأولى بعد الحادث.

عند لافتة "دير أبومقار" التى تطل من بين غابة شجرية فى منتصف طريق مصر الإسكندرية الصحراوى، انحرفت بنا السيارة يمينًا وعبرت بوابات أمنية وحواجز حديدية حتى أخذتنا إلى طريق شجرى آخر، يصل بنا إلى بوابة الدير الرئيسية، حيث كانت الأشجار المتساقطة تكسو الطريق، بينما النخل على اليسار أصله ثابت وفرعه فى السماء.

تشبه الأشجار المتساقطة حالة الدير، الذى تخلص من شجره الذابل فبدأ العمال فى كنسه، بينما ظل النخل ممتدًا يعانق السماء ولا يعبأ بما يدور على الأرض، هكذا كان الدير الأزمة الذى تصدر عناوين الصحف المصرية

والأجنبية، بعدما شهد فى نهاية يوليو الماضى جريمة مقتل الأنبا إبيفانيوس رئيس الدير على يد اثنين من الرهبان، فانتقلت أخباره من صفحات العلوم كمنارة علمية وبحثية ولاهوتية ربما هى الوحيدة فى الكنيسة القبطية، وذهبت به إلى صفحات الحوادث كمسرح لجريمة قتل هى الأخطر فى تاريخ الكنيسة الحديث.

واصطفت السيارة، وعبرنا بوابة الدير، حيث كان ينتظرنا راهب شيخ يضع على رأسه القلنسوة القبطية، ويرتدى جلبابه الأسود البسيط مبتسمًا بوداعة الزاهدين العلماء، تلاميذ متى المسكين وخلفائه الذين كان الشهيد الأنبا إبيفانيوس زهرتهم جميعًا.

وأشار الراهب الشيخ بيديه لقوس أثرى فى مدخل الدير وبدأ يروى تاريخ اكتشافه فقال إن العام 1969 شهد اكتشاف هذا القوس الذى كانت الرمال تغطيه من كل اتجاه فلا يبين له رأس من ذيل، وظل مغمورًا بالرمال عشر سنوات، قبل أن يقرر البابا كيرلس السادس أن يرسل القمص متى المسكين وتلاميذه من الرهبان لتعمير الدير وإعادة الحياة الرهبانية فيه، فما كان من القمص متى إلا أن استدعى مقاولًا ليزيح التراب الذى كان يهدد باقى مبانى الدير وكنائسه الأثرية، فطلب الرجل مبلغًا كبيرًا جراء ذلك، قابل الرهبان طلباته بالصلاة والتضرع للمقارات الثلاثة، آباء الدير، القديس الأنبا مقار الكبير، والقديس مقار السكندرى، والقديس مقار الأسقف، وحين بدأ الرجل العمل على إزاحة الرمال ظهر القوس الذى

تبين أنه المدخل الرئيسى للدير ويعود تاريخه للقرن السابع الميلادى، ثم رفض المقاول أن يتقاضى أجرًا جراء ذلك بعدما حلت بركة القديسين عليه وعلى عمله، ثم تمكن رهبان الدير من دارسى الآثار من ترميم القوس الأثرى من أجل تثبيته حتى يظل قائمًا فى مكانه حتى اليوم.

سار بنا الراهب الشيخ، من قوس الدير وبوابته الأثرية حتى الكنيسة الأولى، كنيسة الأنبا مقار، خلع نعليه على الباب وكذلك فعلنا، فتح بابًا خشبيًا قديمًا، ثم دخل ناحية هيكل الكنيسة الأثرى، وعلى اليسار أجساد المقارات الثلاثة آباء الدير، رهبان البرية الأوائل، من تركوا الدنيا لأجل البحث عن الله فى الصحراء، فصار لهم أتباع وتلاميذ ومريدون يهتدون بهديهم، ويستظلون بنورهم، بينما كان قنديل يتدلى من سقف الكنيسة يزيد النور نورًا، وحولهم على الحائط رسم لطاووس منتفخ بريشه البهى، يسقط كل عام، ويتجدد مرة أخرى، دلالة على القيامة والحياة الأخرى بعد الموت كما يقول الراهب الشيخ، وجواره رسم آخر لنبات الكرمة الذى تؤخذ منه كؤوس سر التناول.

وقف الراهب الشيخ أمام هيكل الكنيسة الأثرى، باب خشبى برسوم إسلامية وصلبان منحوتة، وفراغات الأرابيسك عن يمينه ويساره، وقال الراهب إن الهيكل بنى عام 360م بعد وصول القديس أبو مقار للدير، وينقسم الهيكل لأربعة جوانب وفى كل جانب منها صورة للشاروبيم أى الملائكة ثم يتوقف الراهب قائلا: "كان أبو مقار جمالًا يأخذ الملح من وادى

النطرون ويبيعه فى بلدة أخرى، وحين كان ينقل الملح استراح جواره واضعا يده على قلبه فرأى ملائكة تبشره أن الله وزن قلبه وعلى قدر الوزن سيعيش فى تلك المنطقة"، وتابة الشاروبيم موجودة هنا فى الدير واستطيع منها أن نرى الأديرة التى عاش فيها الأنبا مقار هنا فى المنطقة فيظهر من أسفلها دير الأنبا بيشوى".

ويؤكد الراهب الشيخ، أن الفرس حين دخلوا مصر هدموا كنائس كثيرة فى مصر وحين دخل العرب وسمحوا ببناء الكنائس تمكن الرهبان من بناء أكبر كنيسة هنا فى الدير وقد كان ذلك فى الفترة ما بين عامى 650 و680 ميلادية فى بداية دخول الإسلام مصر، وقد كانت أكبر كنيسة فى مصر فقد تخرج منها 35 بابا للإسكندرية"، ويضيف: "أما فى القرن العاشر فقد حدث زلزال قوى هز مصر كلها حتى انتقل جبل المقطم من موضعه وتأثرت الكنيسة هنا وسقط ما يقرب من ثلثيها وبنى الرهبان كنيسة صغيرة جدًا فوق الجزء الذى بقى من آثار الزلزال".

ويترك الراهب هيكل الكنيسة، ويسير إلى ركن منزوٍ فى الكنيسة ثم يرفع عن غطاء يظهر تحته قبو يضاء بالكهرباء به آثار لحفريات أسفله يقول إن هذا القبو مقبرة للنبيين يوحنا المعمدان وإليشع النبى، والتى تم الكشف عنها عام 1976 بشكل غير رسمى، عندما بدأت عمليات ترميم وتوسيع للدير بإشراف القمص متى المسكين، وتم الإعلان رسمياً عن هذا الكشف فى نوفمبر 1978.

ونترك كنيسة المغارات الثلاثة ونمشي في طرقات الدير، حتى نصل كنيسة الـ49 شهيدًا، شهداء برية شيهيت، شيوخ الرهبان الذين وضعوا أجسادهم فداءً للإيمان، فظلت أجسادهم شهودًا، فقد كان ذلك في زمن غارات البربر على الأديرة، هجوم للسلب والنهب، اعتاده الرهبان حتى في بداية الأديرة بنت لنفسها حصونا تقيها شر الغزوات، أما شيوخ شيهيت فصمدوا واجهوا الغارة الثالثة على الدير عام 444 م، هرب بعض منهم إلى الحصن ورفعوا السقالة بينما رفض 49 منهم ذلك مفضلين المواجهة فنالوا شرف الشهادة، يدفنون في الدير تتناقل الأجيال سيرتهم، وتتلى قوفهم الصلوات.

نغادر القديسين ونتلو على أرواحهم سلامًا، ونسير حتى نصل كنيسة القديس أباسخيرون أي الأب القوي، وهو قديس قبطي من زمن الاضطهاد يقول الراهب الشيخ وهو يشير لباب بهي على يسار الكنيسة، يسمى الباب الجليل، فوقه زخرفة دقيقة من الطوب الأبيض مكتوب عليه "كان الفراغ منه سنة 170 للشهداء أي في القرن الرابع عشر"، وأعلى الكنيسة قبة سماوية مربعة الشكل، كتحفة معمارية أخرى تضيء سماء هذا الدير يعتقد أنها من آثار القرن السابع الميلادي.

نترك الكنيسة ونسير فنرى الحصن الأثري قد أطل من اليسار، يروى سيرة الاختباء من هجمات البربر ولا يسقط بالتقادم وفي الناحية الأخرى تظهر منطقة الفلالي الأثرية أي مساكن الرهبان القديمة، ثم نكمل السير

حتى يقرر الراهب الشيخ أن يأخذنا إلى المكتبة أشهر معالم دير أبومقار "موطن الصلاة الدائمة والحكمة العالية" كما يعرف فى التاريخ القبطى، حتى أن الدير الكبير يتمتع بأكبر مكتبة مخطوطات تحفظ دوره كجامعة بحثية قبطية يقبل عليها الباحثون فى علوم الكتاب المقدس والمخطوطات والتراث القبطى والآثار، يفتح الراهب الشيخ المكتبة الأولى فتبدو أرفف الكتب على الجانبين وفى المنتصف طاولات للقراءة والدرس، ثم يسير فى ممر طويل حتى يفتح بابًا جديدًا تظهر فيه كنيسة داخل المكتبة لتقترن الصلاة بالعلم خلف أسوار أبومقار العالية، وإلى جوار الكنيسة باب آخر ينفتح على مكتبة أخرى للمخطوطات الأثرية بالمكتبة كتب مقدسة عتيقة يرجع تاريخها للقرن التاسع وكتب الخولاجى المقدس، وسير القديسين وغيرها من علوم اللاهوت، وفى غرفة ثالثة تظهر أجهزة المكيروفيلم إذ يحاول رهبان الدير نسخ كل تلك المخطوطات على الكمبيوتر حتى لا تضيع.

نغادر المكتبة الهائلة، ونمشى حتى نرى مبنى صغيرًا كان الأنبا إبيفانيوس شهيد الدير الجديد، يجتمع فيها بالآباء الرهبان يتدارسون ويتناقشون فى قضية علمية أو بحثية يحددونها مسبقا كحلقة درس يحضرها ما يقرب من 40 راهبًا، كما يقول الراهب الشيخ، ثم يشير من بعيد لممر تحيطه نخلتان ويتوسطه برميل أزرق، ويؤكد أن هذا الممر قد شهد الجريمة البشعة التى نالت من الراهب الشهيد الأنبا إبيفانيوس رجل العلم والصلاة.

نركب سيارتنا مرة أخرى، لنودع الأنبا إبيفانيوس فى "الطافوس" أى

الأقباط.. كارت سياسي

تبدو المقارنة المنعقدة دائمًا بين البابا تواضروس الثاني والبابا شنودة الثالث كمشنقة تم تعليقها مسبقًا لكل من يرث عرش الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، إلا أن هذه المقارنة تظل غير منصفة على الدوام إذ يتم تفريغها من الظروف السياسية والاجتماعية التي صاحبت كل عصر، وكأن بابا الكنيسة كان يأتي ليخدم شعبًا منفصلًا عن الوضع المصري العام بظروفه المختلفة والمتباينة.

طوال 40 عامًا قضاها البابا الراحل على سدة الكرسي المرقسي، حدثت عمليات برمجة واسعة النطاق للعقل الجمعي القبطي، فهو يرى في البابا معارضًا للسلطة، مناهضًا لها ومطالبًا وحيدًا بكل الحقوق التي ينبغي للمواطن أن يطلبها لنفسه باعتباره مصري الجنسية، وكذلك فإن الكنيسة صدرت نفسها بديلًا عن الدولة والمؤسسات والمجال العام مما تسبب في عزلة الأقباط داخل كنائسهم غير عابئين بما يجري خارج أسوارها إلا بعض

ولكنك في اللحظة ذاتها تتحلى بأدب المعزين ورغبتهم في تهدئة الأهل لا تذكيرهم بمرارة ما يحاولون تصديقه.

في حادث الطائرة المنكوبة، تعرفت على كنيستين في جنازتين، البطرسية في الجنازة الجماعية والعذراء والأنبا اثناسيوس بمدينة نصر في جنازة يارا، ثم يقرر القدر أن يفجر الإرهابي الكنيسة البطرسية، ويرأس البابا صلاة الجنازة على الشهداء بكنيسة العذراء والأنبا اثناسيوس، وكأنه لعب بالذاكرة فكل مشاهد الموت التى رأيتها في حادث البطرسية مجرد "ديجافو" لجنازات ضحايا الطائرة المنكوبة، مع اختلاف الأعداد، كان عزرائيل قد قرر تدريبي على الموت، فبعثني لأماكن بعينها، خطط لقطف ورودها، وأشار لي لأتعلم التماسك وأنا أحرر أخبار الموت، ولم أفهم إشارته إلا على مقعد الطبيب النفسي الذى حاول علاجي من آثار الصدمة العصبية التى تمتلكتني بعد حادث الكنيسة البطرسية.

كنت دائمًا الحلقة الأضعف بين زملائي، المتمرسين على الموت، لم يسبق لي أن ودعت قريبًا أو حبيبًا، لم أعقد مع الموت تلك الاتفاقات المتواطئة ولم أختبر من قبل علاقتي بالفقد، ولكنه قرر أن يعلو ويهبط حولي كشبح كبير بجناحين هائلين، يرف بالأيسر فاختبئ منه في اليمين، يضربني بالأيمن فأسير إلى اليسار، وهكذا، حتى وجدت نفسي تمامًا في مواجهته، ولم أعد أستطيع الهروب أكثر، سيكون العامان 2016، و2017 عامي الوداعات الكبيرة، ولن يكف الموت فيهما عن حصاري في العمل بل ستمتد يده

العائلة لتقطف زهرة من بستان عائلتي كقرصة أذن قاسية، وتأكيد على أن الفقد أصل، والموت لا يوجع الموتى بل الأحياء، وكل تلك الأشعار التي حفظناها عنه دون أن نختبره فعليًا.

من دفتر الدم والرماد

في "البطرسية".. حين قطع صوت الانفجار تراتيل "كيهك" العذبة.. ساعات البحث المجنون عن جثث الضحايا في ثلاجة "دار الشفاء" وحكاية "نهلة" أم الشهيدتين التي شقت صرختها السماء

"البطرسية" أو كنيسة الشهيدين بطرس وبولس، ذات التاريخ الطويل، والأيقونات التي رسمها فنانو إيطاليا، ستصير قبرًا كبيرًا.

في فبراير 2016، تتأهب الكنيسة لعام موتها، تفتح بطنها لتستقبل جثمان الدبلوماسي الكبير "بطرس بطرس غالي"، الذي بنت عائلته الكنيسة وحرصت على دفن موتاها فيها أسفل هيكل الكنيسة وفي سرداب صغير يؤدي إلى القبر.

في مايو من العام نفسه، وقبل شهور من انفجارها، كانت الكنيسة البطرسية تشم في محيطها روائح الفقد، وقررت أن تستقبل جنازة كبيرة ثانية، ودعت فيها شهداء حادث طائرة مصر للطيران القادمة من فرنسا، ذكر الأنبا دانيال نائب البابا نواضروس بالقاهرة، أسماء الشهداء على مذبح الكنيسة حين كانت أجسادهم تتمزق في البحر.

هاتفني رئيسي المباشر وهو يسألني عن مشاهداتي، بينما لساني كان يعجز عن الوصف ويداي ترتعش خوفًا، سارعت إلى مستشفى دار الشفاء القريبة، كان المصابون والشهداء قد سبقوني إليها، وعلى الباب سألني ممرض عايزة تتعرفي على حد؟"، لم أفهم السؤال، هززت رأسي الفزع وسرت خلف أمهات مهرولات، وشباب يحاولون التأكد أن أمهاتهم مازلن على قيد الحياة.

في ممر صغير في طرقات المستشفى التى تبدل فيها كل شئ، سرت، كان الصراخ سيد الموقف، تخرج فتاة ممن اكتشفت استشهاد أمها، تسقط على الأرض "ليه كدا يا ماما؟، ياربي أنا بحلم، بينما يحاول أخوها احتضانها والتهدئة من روعها"، يمر رجل بوجه مدمدم نجا من الانفجار للتو وهو يسب ويلعن "الكفرة أولاد الكلب"، والممرضات والأطباء يجيئون ويروحون والكل في حالة اضطراب شديد، عزرائيل كان حولنا يقطف غنائمه بهدوء كصبي تمرن على نزع زهر الحدائق.

سرت في الممر الصغير ولا أعرف أين أذهب، كانت "نهلة" تجري خلفي بهلع شديد، سيدة خمسينية تصرخ "يارب يارب يارب بناتي يارب"، في ركن منزو من الممر، رأيت دولابًا أبيض، كانت ثلاجة الموتى قد ازدحمت بالشهيدات، في كل درج جثة، في كل سنتيمتر حكاية تنتهي، ومع كل فتحة درجة شهقات ترتفع ومحبون يسقطون في فخ الفراق المر، كنت جوار نهلة حين رأت فيرونيا في أحد أدراج الثلاجة، ابنتها الأولى، تعرفت عليها من

لجنة الأزمات بالمجمع المقدس وبدأ في إدارة الأزمة والاتصال بأجهزة الدولة، حتى خرج بيان البابا يؤكد فيه أن تلك الأحداث لن تزيد الكنيسة إلا تمسكًا بوحدة مصر ورغبة في محاربة الإرهاب.

أشفق على البابا تواضروس من تلك اللحظات التي يصبح فيها القابض على وطنه كالقابض على الجمر، يحاول الشباب الغاضب جره إلى اتهام الدولة بالتقصير، بينما يرى أن حادث البطرسية ليس الغرض منه استهداف المسيحيين بل استهداف مصر، وينظم خطابًا متماسكًا في كل مرة يدفن فيها شهيدًا جديدًا ليحق القول على كنيسته "القبطية أم الشهداء".

أمام حالة الغضب الساطع، حاول الإعلاميون الوصول للكنيسة البطرسية وتسجيل لحظات ما بعد الانفجار فيها، فما كان من الشباب القبطي إلا أن تعدى عليهم بالضرب، تكسرت المعدات وضاع في الزحام طاقم القنوات، كانت "لميس الحديدي" أشجع ممن تعرض لذلك، إذ ظهرت مساء اليوم في برنامجها بوجه متورم تلوم من فعل بها ذلك، في حين نجح زوجها عمرو أديب في الوصول إلى الكنيسة مبكرًا قبل زحام الغضب.

كان الشباب الغاضب يحاول أن يفرغ عن هزيمته أمام الموت بأي شكل، ودون أن يفهم من ذلك إنه محاولة للتبرير، ولكننا دائمًا نتعرض لاتهام يتعارض مع طبيعة عملنا، "انتم تتاجرون بموتانا وشهدائنا"، في حين نحن نحاول فقط أن نظهر للرأي العام فجيعة ما حدث، نحاول أن نخلق هذا التعاطف مع الشهداء، نجرم القتل، نحذر من الإرهاب، من استهداف

بيوتنا، ومساجدنا وكنائسنا، لسنا وحوشًا تتغذى على أكباد الراحلين، ولكننا نساعدهم في أن ينالوا بالموت ما لم يتحصلوا عليه بالحياة.

بقينا في الكنيسة حتى المساء، بعدما أغلقت الشرطة الشوارع المؤدية للكاتدرائية وتركت الغاضبين في غضبهم، وسمحت لنا الكاتدرائية بأن نرتاح في مركزها الإعلامي لنكتب، انضممت لزملائي كل منا يحاول أن يواسي الأخر، كل يروي لزميله ما رآه في ساعات الانفجار الأولى، كل يحاول أن يرى من القصة ما رآه القلب وما لم تصدقه العين، بينما كنت أعجزهم عن الكتابة بعدما سقطت في ما يسميه الأطباء "تروما" أو صدمة عصبية انتابتني بعد الحادث وظلت معي أيامًا طويلة.

عدت للبيت، وأنا أشعر أني ميتة فعلًا، وأن كل ما رآيته مجرد حلم طويل أو كابوس يزورني في قبري، كان الموت كغراب أسود قد فرد جناحيه فوق مدينتنا ليكسو الكنيسة كلها، لم أستطع أن أنام أو أني كنت نائمة بالفعل، كان شعوري أشبه بالمخدرين الواقعين تحت تأثير الأدوية، ليسوا في العالم بكامل حواسهم، وليسوا خارجه في الوقت نفسه.

بعدما دخلت إلى غرفتي، أغلق أخي باب فرن البوتاجاز، فصدر عنه صوت عالي، دفعني للجري خارج الغرفة وخارج الشقة وأنا أضع يدي على رأسي خشية الانفجار، كان دوي الانفجارات قد أرعبني بالشكل الذى جعلني أخشاه في بيتي وفوق سريري، كل ذلك يحدث فيَ ولا تتركني الصحافة، سيكون عليَ بعدها بيومين أن أشيع كل الشهداء في جنازة مهيبة،

وأعود لأكتب وأحلل دون أن يفكر أحد في أثر ما رأيته عليّ، كانت المطالبة بالثبات الانفعالي والابتعاد عن الحدث نفسيًا وعدم التفاعل معه أكثر من ذلك أشبه بمن يطالبني بالانسلاخ من جلدي وارتداء جلد آخر لأنه سيمنحني مثلًا أو سيحميني من البرد أو المطر، كانت تلك الأيام قاسية بما يكفي لألا نتذكرها ولكنّ ألمًا بحجمها عصي على النسيان، كما هو عصي على الكتابة، فاستغرق كل هذه الشهور لإعادة استرجاعه وتدوينه.

في جنازة شهداء البطرسية.. حين تصير الزغاريد مخدرًا لساعات الفقد الكبيرة.. حكاية الوجوه التى رأتها والدة "ماجي مؤمن" في سماء الكنيسة

قضيت ليلتي مستيقظة أنتظر توديع الشهداء إلى السماء، بعدما استقرت الكاتدرائية على الصلاة عليهم في كنيسة العذراء والقديس اثناسيوس بمدينة نصر، الكنيسة التى دخلتها لأول مرة في جنازة "يارا" مضيفة طائرة مصر للطيران المنكوبة.

في السابعة والنصف صباحًا، أخرجت ملابس الحداد وأعددت نفسي لتلقي العزاء، ذهبت إلى هناك، فكانت الشرطة قد أغلقت كل الطرق المؤدية للكنيسة، لم تسمح إلا للإعلاميين وأقارب الدرجة الأولى بالمرور، عبرت حاجزًا أمنيًا خلف الآخر، حتى تلقفتني كشافة الكنيسة، قالوا أن الأنبا بولا

الذى أدار مسألة الجنازة ونسقها أمر بعزل الصحفيين في غرفة جانبية بعيدة عن الكنيسة مقر الصالة، انضممت إلى زملائي وقررنا الاحتجاج، نريد أن نعيش الموت والوداع كأسر الشهداء، نريد أن نسمع أصوات نحيبهم، أن نشم البخور الأخير الذى يغلف أجسادهم العطرة في آخر صلاة لهم بعدما ماتوا من أجل الصلاة، نريد أن نصلي عليهم، أن نشارك في توديع أحبائنا الذين رأيناهم يسقطون على الأرض فسقطت قلوبنا خلفهم.

بعد مفاوضات مرهقة، وافقوا على أن نشهد الحدث الجلل، كانت الجثامين قد وصلت قادمة من المشرحة ليلة الحادث، ووضعت في نعوش خشبية كل نعش يحمل اسم صاحبته الشهيدة ملفوفًا بصليب من الورود، الأنبا زوسيما يقف وسط الجثامين الكثيرة ويبكي وهو يصلي، يختنق صوته بالدموع، بينما يطلق أسر الشهداء من حين لآخر صرخة، أو زغرودة وكأنها مخدرًا للفقد، يفرحون بمصير ذويهم في فردوس النعيم، لتلك الميتة التى انهوا بها حياتهم، مصلين خاشعين في شهر العذراء وبداية الصوم.

ثم ظهر الأنبا بولا أسقف طنطا الرجل القوي، يمسك بزجاجة حنوط عطور تصنعها الكنيسة، تطيب بها أجساد قديسيها وأخذ في رش العطر على جثامين الشهداء،

وقبل البدء فى صلاة الجنازة، دخل البابا تواضروس الكنيسة ليرأس الصلاة، ممسكًا بعصاه يغالب دمعه، يتحلى بالقوة لأجل شعبه وكنيسته، فانكسار البابا يهز رعاياه، ووقوفه صلبًا يمنحهم القوة.

"أوشية الراقدين" تعود لأذني، الصلاة التى يتلوها الأرثوذكس على الموتى "يارب نيحهم فى ملكوت السماء، افتح لهم يارب باب البر، وافتح لهم باب الراحة لترتل مع الملائكة ولتدخلهم ملكوت الرب، عزى يارب أهل بيتهم والهمهم صبرًا، واعطى شعبك برودة فى قلبهم وثبتنا على إيمانك الأرثوذكسى"، تمتمت خلف الكاهن آمين آمين آمين، بينما كنت أقرأ لهم الفاتحة في سري، واتخيل العذراء تستقبلهم في السماء وهم الذين قرروا الذهاب لها صائمين، محبين، طائعين في شهر يتسمى باسمها.

صوت الصراخ والنحيب يمتزج بالزغازيد الكنيسة تعلق أسماء ضحاياها أعلى أيقونات القديسين، هنا المسيح يعظ تلاميذه فى عشائه الأخير، وهذا مرقس ينشر رسالته فى مصر، وتلك العذراء تضع رضيعها، الشهداء يجاورون القديسين فى فردوس النعيم يقول البابا تواضروس وهو يعظ ذويهم أم الشهداء نبيلة، أم الشهداء جميلة، يرتل إبراهيم عياد كبير شمامسة الكنيسة وهو يصفها، يقول البابا الاستشهاد قدر كنيستنا المصرية التى قدمت آلاف الأرواح للسماء منذ بدء البشارة حتى اليوم، هب لهم خيرات ما لم تره عين وما لم تسمعه أذن يقول الكاهن وهو يعد الأبرار بالفردوس، يطمئن البابا تواضروس الحاضرين: الشهداء انتقلوا فى شهر كيهك حيث الصوم والتسبحة، الشهر الذى نحتفل فيه بالعذراء، استدعاهم الله ليحتفل معهم هناك فى السماء.

تزغرد سيدة مكلومة فقدت ابنتيها وهى تصبر نفسها بنعيم الأخرة الذى صار من نصيب العروسين، وتصرخ أخرى لم تنجح وعود السماء فى تهدئة وجعها على الأرض.

يدعو البابا وخلفه الشعب "افتح لهم أبواب الراحة ليرتلوا مع الملائكة، عزى يارب قلوب أهاليهم، وأدخلهم فى ملكوتك"، تهتز القاعة باللحن الحزين وصوت الأناجيل ووعود السماء.

"صلوا من أجل وحدتنا الوطنية، مصر تفقد شهداء كل يوم والوطن كرمهم أعظم تكريم" يقول البابا وهو يستعد لاستقبال الرئيس فى جنازة شعبية مهيبة، تخرج الجثامين فى طوابير متراصة، تلك سامية، وهنا أنصاف وهذه مارينا.

ثم وقف الأنبا بولا، متجاهلًا النحيب كله، وطالب أسر الشهداء بالتزام التعليمات في الجنازة العسكرية، الجثامين ستتحرك في سيارات إسعاف لمقر النصب التذكاري كل أسرة ستركب السيارة مع جثمان شهيدها، صرخت سيدة وقاطعة كلامه فنهرها "متخلوش شكلنا وحش قدام الناس"

كنا في الداخل بينما تجمعات الشباب القبطي، تحاصر أبواب الكنيسة من الخارج تحاول توديع الشهداء وترفض الكشافة الكنسية بكل حسم، لا مكان إلا لأسر الشهداء حاملي الدعوات.

بعد الجنازة، بدأ خروج الجثامين، مع كل جثمان يخرج من باب الكنيسة،

صراخ يعلو وزغاريد تهبط، وطبول تدق تودع الشهداء بدق جنائزي يفزع القلوب، خرجت من الباب وفاضيت عيناي بالدمع، كنت أرتدي الأسود وأبكي فاحتضنتني راهبة وهي تطمأني "متقلقيش راحت للعدرا ويسوع، متزعليش عليها"، كنت قد انفجرت وكل مشاهد الفقد تتدافع أمامي، الدم الذى رأيته على الأرصفة والصراخ والنحيب، حتى خرج من الكنيسة جثمانين قطعا أفكاري للأبد، "نهلة" والدة الشهيدتين وقفت في المنتصف بين جثمان ابنتها الأولى والثانية قسمت ذراعيها تحاول احتضانهم معًا حتى سقطت بينهما في المنتصف وهي تتوسل للزمن أن يتوقف، وللقبر ألا ينفتح فيأخذ "شقا عمرها كله" كما كانت تصرخ، أمام هذا المشهد سقطت وانزويت في ركن من الكنيسة، لم أعد استطع أن أتابع المزيد من الفجائع، حتى رأيت السيدة التي كانت تبحث عن شقيقتها سامية في المستشفى أيضًا، وهي تودعها بعدما تأكد موتها.

صوت دق الطبول ما زال في أذني حتى اليوم، وهو الدق الذى سيتكرر في كل جنازات الشهداء التى سأتابعها بعدما يسافر إلى السماء من كن في حالة خطيرة.

غادرت الكنيسة، وأنا أرى سيارات الإسعاف تتجه للنصب التذكاري، كان الرئيس عبد الفتاح السيسي قد وقف ليعزي أسر الشهداء، وكنت أنا استقل تاكسيًا صوب المقطم حيث توارى جثث الشهداء الثرى في كنيسة الأنبا شنودة هناك.

في التاكسي الذى ركبته من الكنيسة إلى المدافن، كان السائق ستينيًا
بلهجة خفيفة، يترحم على الشهداء ويسألني "ناس واقفة تصلي عملوا ايه
بس؟، لا إله إلا الله، حتى قطع صوت الرئيس يعلن اسم محمود شفيق
مفذ الحادث حديثنا، وتهللنا معًا في دهشة كبيرة من سرعة فك غموض
الحادث ومرتكبه بين ليلة وضحاها.

قطعت السيارة طرقًا مزدحمة في القاهرة، حتى بلغت الجبل، وصلت
قبل أن تصل جثامين الشهداء القادمة من الجنازة العسكرية، رأيت قباب
الكنيسة يعلوها الصليب بينما كان الشمامسة يستعدون لزف المغادرين إلى
مقر راحتهم الأبدية، حضرت الجثامين واستمرت وصلات الدمع والنحيب
مع الزغاريد، وخرجت دون أن أشاهد الدفن الذى كان كبيرًا عليّ.

غادرت إلى البيت، حتى جاء نبأ انجيل مرقس، التي ستأخذ أسرتها
عزائها في اليوم التالي بقاعة ملحقة بالكنيسة، وهكذا كل يوم من موت إلى
موت حتى جاء موعد وداع ماجي مؤمن، طفلة الكشافة الكنسية، ملاك
البطرسية الذى رحل متأثرًا بجراحه في المستشفى، كانت صورة ماجي قد
انتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي، طفلة جميلة في الابتدائي تلعب
الكرة الطائرة في نادي وادي دجلة، وهي تلميذة في مدرسة كلية رمسيس
القريبة من الكنيسة البطرسية، وبطلة لغالبية عروض الكنيسة المسرحية،
طفلة تحب الحياة، ولا يرفق بها الموت، طفلة تبتسم لها السماء وهي تستقبلها
دون أن تنظر في مصير أمها.

كان يوم وداع ماجي بالكنيسة البطرسية لا يقل حزنًا عن باقي أيام الوداعات التى قطعتها في هذا الحادث الضخم، انتظرنا مع زميلات ماجي ورفيقاتها الصغيرات وصول جثمانها من المستشفى والانتهاء من إجراءات الدفن التي تأخرت كثيرًا، كانت الكنيسة البطرسية قد ازدحمت بأطفال مدرسة كلية رمسيس يودعون زميلتهم بزي المدرسة التى جاءوا منها مسرعين مع مدرساتهم، وكذلك مدربي ماجي في لعبة الكرة الطائرة، كانت كل الأماكن التى صنعت فيها الطفلة فرحًا قد نبتت لها كورد في قداس جنازتها بالكنيسة، انتظرنا ساعتين حين حضرت ماجي ملفوفة بالورد والصليب، وعاد للكنيسة دق طبول الموت المرعب يضربه زملائها في الكشافة بالقلب والدموع.

ثم ظهرت الدكتورة نرمين والدة ماجي بصحبة راهبة جاورتها في التفجير، كانت الدكتورة نرمين تبتسم للسماء وترتدي الأبيض، وكأنها تكلم وجوهًا وصورًا تراها في الأعالي، من الناس من قال إنها توصي العذراء على ابنتها إذ تتجسد لها الآن، ومنهم من قال إنها تستدعي ساعة التفجير ولحظات فقد الكنيسة، وهناك من قال إنها تتحدث إلى المسيح وهي تمنحه أغلى ما تملكه أمًا مكلومة، كانت ابتسامة أم ماجي كمثل الطعنة التى وجهتها للموت القاسي، فإن كان هو يحصد الأرواح دون استئذان سنبتسم له بكل محبة وإيمان.

يمر كل هذا، حتى تعلن القوات المسلحة عن الانتهاء من ترميم الكنيسة

البطرسية بعدها بأسبوعين، ويصلى فيها قداس رأس السنة الميلادية الجديدة، ادخلها لأول مرة بعد كل هذا الألم، أحاول أن أكتب عن أثر الدم الذى تجمد على الحوائط والأعمدة التى تشهد على كل هذا الألم والوداعات، ولكن أصابعي تخونني، وترتعش، تهتز يداي ما يزيد عن ربع ساعة، حتى تحتضنني سيدة وتقول لي "مبروك كنيستنا رجعت لينا"، وتربت على كتفي بعدما أغرق في البكاء مرة أخرى، أقبلها وأهنأها بعودة كنيستها ولكنها عودة الجسد بلا روح، عودة الحجر بلا بشر.

أخرج من باب الكنيسة، وأرى الحائط الذى يختزن دم الشهداء فوقه، صور الشهيدات معلقة فوقه كزرع الصبار القوي، يتحدى الموت نفسه، ويظل خالدًا حتى وإن جفت المياه.

تتحدى الكنيسة الموت بالمزيد من التشبث بالحياة، وبعد أيام من افتتاحها تستقبل أول عرس فيها، عريس وعروس يقرران أن يبدؤا حياتهما من حيث ضحى الأخرون، شاب وفتاة يعقدون صلاة أكليلهما في الكنيسة الطاهرة أم الشهداء، ثم يحاول الموت أن يرواغ مرة أخرى، تموت "دميانة أمير" في المستشفى، طفلة أخرى تنضم لسحابة الشهداء لتلحق بجدتها التي استشهدت في الحادث نفسه، دميانة تسافر بعد شهور من الغيبوبة وتودعها أمها بالكثير من الصبر بعدما ذاقت الفراق في الحادث نفسه حين ودعت أمها.

يمر العام، ويأتي "مينا" ليتعمد في الكنيسة البطرسية، تنجب والدة

ماجي طفلًا ذكرًا، تقرر أن تدخله المسيحية لأول مرة في محل استشهاد أخته، وموضع نجاة أمه، يأتي مينا للحياة محملًا بكل هذا التاريخ من الفقد حاملًا لأمه الكثير من الأمل والإيمان والتعويض الذى يسكنه الله قلوب عباده المؤمنين.

.. في "مارجرجس طنطا".. بركة دماء في منتصف الكنيسة.. حكاية "التوأم" الذى غاب نصفه في عاصفة الانفجار والكاهن الذى حمل أشلاء ولده كقربان للصلاة

بينما كان المسيح يتهلل داخلًا أورشليم على بغله منتصرًا، كان الانتحاري يضع حزامه الناسف ويدخل الكنيسة متخفيًا، وهو ينوي تحويل ساعة الفرح لذكرى للموت ومقرًا للدم.

ككل آحاد السعف، التى يبدأ بها أسبوع آلام المسيح، استيقظت مبكرًا ونزلت إلى صلاة القداس في الكنيسة المرقسية بكلوت بك أو كما يسمونها "البطرخانة"، دخلت فرأيت الأستار السوداء تعلو هيكل الكنيسة كعلامة استقبال أسبوعها الحزين، ألحان الصلاة تتغير، في أسبوع صلب المسيح، يصلى الأقباط باللحن الحزايني، وتصلى الصلوات الجنائزية حتى أن موتى هذا الأسبوع لا تقام عليهم صلوات الجنازة، ففي الكنيسة تجنيز عام إحياءًا لعذاب المسيح وفدائه لها.

ارتديت فستانًا، وذهبت لأكتب تقريرًا عن أحد الشعانين، انهمكت في الكتابة حتى دق جرس هاتفي، فقلت "دقائق وسأرسل تقريري"، كانت صحيفتي تبلغني بضرورة الانتقال إلى طنطا فورًا، كنيسة مارجرجس تفجرت وليس لدينا أي حصر لأعداد الشهداء حتى الآن، حاولت الاتصال بمصادري هناك فلم يجب أحد، ثم تحركت مباشرة، أبحث عن طريقة تنقلني للمحافظة القريبة، فالتحقت بسيارة إحدى الفضائيات التى كانت ذاهبة لتغطية الحدث، في طريق الذهاب، قفزت إلى عيني كل مشاهد حادث البطرسية، لم تكن الأربعة شهور الفاصلة بين الحادثين كافية لكي أنسى، أو إن فجيعة ما رأيت غير قابلة للنسيان أصلًا، خشيت أن أرى أمًا أخرى تفقد ابنتيها كنهلة والدة "مارينا" و"فبرونيا"، ارتجفت حين تذكرت الفتاة التي تبحث عن أمها بين المصابات فوجدتها بين القتلى، ولكنني ككل من يعتاد الموت كنت أقل تأثرًا من صدمتي السابقة.

حين وصلنا طنطا، سألنا المارة عن الكنيسة التى تفجرت ففوجئت إنهم لا يعرفون شيئًا، ولم أفهم كيف لمدينة صغيرة لا تعيش نبأ كارثة بهذا الحجم فيعرف فيها القاصي والداني، أن دمًا سال على أرصفتها، بعد عدة محاولات في الطرق وصلنا، كانت الشرطة قد أغلقت الكنيسة ومنعت الصحفيين والإعلاميين من الدخول، أما التجمهر فكان قد بدأ هناك قبل وصولي بقليل، مئات من الشباب في محيط الحادث، عشرات الصحفيين والمراسلين التلفزيونين يجلسون في المقهى المواجه للكنيسة، وشباب الكشافة الكنسية

يمنعون الجميع من الدخول.

بحيلة بسيطة، استطعت أن أكون الصحفية الوحيدة التي تدخل الكنيسة بعد انفجارها، بمجرد أن دخلت شممت رائحة زفرة كسمك نئ، وظننت فعلًا إن حلقة سمك تجاور الكنيسة تسببت في تلك الرائحة الغريبة، لم أكن أتصور أبدًا أن للدم رائحة نفاذة هكذا، دم كنيسة طنطا كان سائلًا كبركة كبيرة في منتصف الكنيسة تمامًا وبالقرب من كرسي البطريرك أو الأسقف وخلف العمود الأول وراء خورس الشمامسة، كان الدم كثيفًا ولم تستطع الساعات الفاصلة بين الحادث وبين وصولي أن تجففه أو توقف رائحته وكأنه يخرج لسانه للحياة ويتحدث باسم الموت ويتحدى وجودنا.

على اليسار، كان رجال البحث الجنائي يرتدون قفازات بلاستيكية يجمعون بها أشياء من الأرض، بعدما وضعوا سياجًا حول المنطقة التى يبحثون فيها، ثم صعدت قرب هيكل الكنيسة بعدما نبهني أحدهم إلى ضرورة خلع حذائي، حين صعدت إلى أعلى وجدت أشياء صغيرة وسوداء على الأرض، ثم ارتديت نظارتي الطبية واقتربت فإذا بها عقلة أصبع ملقاة أمامي، صرخت من الصدمة فانتبه جامع الأدلة وجاء لالتقاطها، كانت عقلة الأصبع ملقاة فوق سجاد الكنيسة الأحمر، محترقة من الأمام سوداء اللون، ومن الخلف يظهر لونها الوردي، لون الجلد البشري الأليف بعدما صار مجرد أشلاء كإشارة لما فعله عزرائيل بتلك الكنيسة.

نظرت لأعلى، وجدت الساعة مثبتة على موعد التفجير العاشرة إلا

خمسة دقائق، توقفت الساعات حين صعدت أرواح وارتقت إلى ربها، وأسفل الهيكل شاهدتي عيان يروون لقناة الكنيسة فجيعة ما جرى، يصفون الانتحاري ويرتدون ايشاربات ملطخة بالدم على رؤوسهن، حتى أن إحداهن انتبهت لذلك فامسكت الإيشارب وقبلته وقالت إنه بركة الشهداء ووضعته في حقيبتها.

خرجت من الكنيسة مسرعة بعدما زكمت رائحة الدم أنفي، وقررت أن اتنفس هواءًا لا يحيطه الموت هكذا، فوجدت زملائي الذين وصلوا متأخرين من القاهرة، ونصحتهم ألا يدخلون الكنيسة وألا يحاولون فعل ذلك، رائحة الدم نفاذة وقاتلة ولونه قاتم وقابض للروح،

في منطقة أبو النجا، كان أهالى الشهداء والضحايا قد خرجوا عن صبرهم المعتاد، وبدءوا فى الشجار مع وسائل الإعلام التى تحاول توثيق الحدث ونقله، بينما منع شباب الكنيسة دخول الكاميرات، واكتفوا بإدخال إعلام الكنيسة بعد التأكد من الهويات.

بدأ رجال البحث الجنائي فى رفع آثار الحادث، يمسك أبانوب بيمناه كيس أسود، يضع فيه ما يجده على الأرض من أشلاء، تلك قطعة جلد، وهذه شحمة أذن، والثالثة عقلة أصبع، أرضية الكنيسة كانت ملطخة بالدم، فجاور دم شهدائها سجادها الأحمر الموزع على المنتصف، كذلك فإن العمود القريب من موقع الانفجار قد تخضب تماما بدم الشهداء والضحايا وتحول لونه الأبيض إلى الأحمر.

فى سقف الكنيسة، كان حوارى المسيح وتلاميذه يتوزعون يبشرون بالإنجيل، بينما كانت نقاط الدم وروائح شواء اللحم البشرى تطاردهم، من الأرض التى تخضبت وحتى مكانهم فى سماء الكنيسة

قررنا جميعًا التضحية بما تبقى من أرواحنا، سنذهب إلى المشرحة.

أهالي الشهداء ينتظرون ذويهم أمام باب المستشفى التي تضم مشرحة تلك المدينة، وتقارير الطب الشرعي تكتب على عجل، والصلبان الخشبية مرفوعة في الخارج تنتظر خروج جثامين الشهداء، كان القس دانيال قد تأكد من استشهاد نجله بيشوي الذى سقط مرتطمًا بالمقعد الخشبي فمات متأثرًا بنزيف المخ.

كان القمص دانيال ينتظر خروج نجله وهو يرتدي ملابس الخدمة البيضاء، الملطخة بدم الشهيد، فقد حمله في عباءته قبل دقائق من استشهاده، حيث كان يصلى بصحبة أخيه كيرلس ووالدته اللذين نجيا من الحادث.

وفي الناحية الأخرى، كان المهندس مجدي شاكر ينتظر خروج نصفه الميت من المشرحة، الشهيد سليمان شاكر، كان التوأم يصليان معًا في الكنيسة حين وقع الانفجار فقسمهما نصفين أحدهما في السماء والثاني في الأرض.

على اليسار كان الدم قد أخذ موقعه من مقاعد الرجال، كما الأعمدة، يلون كل شىء، وليس كمثله شىء، بينما كان الأنبا بولا أسقف طنطا يعقد اجتماعا لترتيب صلوات الجنازة على الشهداء التى تبدأ بعد قليل فى كنيسة

القديسة دميانة القريبة من موقع الحادث.

البصخة المقدسة مساءً، يوم مسجل في تاريخ الوطن وتاريخ الكنيسة، صار لنا اليوم سحابة شهود أمام عرش النعمة، علينا أن نفتخر أن طفلًا أما للشهداء لقد صعدوا للسماء في أقدس لحظات السماء، ويختم اليوم باحتفال روحي بصلوات البصخة المقدسة.

بينما كان التصفيق لا يتناسب مع رائحة الدم التي مازالت في أنفي، غضبت جدًا ممن يصفقون ويصفرون حتى إنني كدت أن اشتبك مع أحدهم ثم قلت لنفسي أن اختلاف الثقافة يحكم.

أمام مستشفى مغاغا.. موت لا يستحى

وصلت متأخرة لمدينة مغاغة بعد مرور أكثر من أربع ساعات على وقوع حادث دير الأنبا صموئيل الأول الذى وقع فى الليلة الأخيرة من شهر شعبان بينما كان المسلمون يستعدون لاستقبال رمضان فى الصباح، وقد ذهبت خلف جثامين الشهداء التي وصلت إلى مستشفى مغاغا، كان المشهد يشبه كابوسًا مرعبًا أو شبحًا فرد جناحيه على مدينة فسرق شبابها وأطفالها وربما كان اختبار في الصبر يضاف لسجل اختبارات الموت التي تسلب العقول كما القلوب وتترك سوادًا ودمعًا فى العيون، كانت مغاغة على موعد مع وداع مهيب، شهداء جدد ينضمون للقافلة شباب ونساء وأطفال اقتطفهن الإرهاب من طريق الدير، الأنبا صموئيل القديس يشفع لهم في السماء، ويهدأ من روع ذويهم في الأرض.

صراخ وعويل، أصوات مبحوحة وأخرى مقهورة، تبكي هذا على كل هذا الحقد الذي حل بالمدينة، النساء تتشارك البكاء، ألما للعظم، يضربن وجوههن بالرؤوس علها تنزل عنها أثر فجيعة لا يمحوها زمن، الرؤوس نفسها تهتز هيستريا كالدراويش في حلقات الذكر، يمين ويسار، يسار ويمين، حناجر تهتف بارب، وألسنة اتعبها دعاء هو الأمل الوحيد، ذلك جزء من المشهد أمام مستشفى مغاغة العام التي استقبلت جثامين الضحايا قبل أن تقرر الدولة نقل الحالات الحرجة إلى مستشفيات القاهرة ومعيد ناصر.

الزحام قسم بوابة المستشفى إلى جزئين، آلاف من البشر يتحلقون بأبوابها الحديدية القديمة، ينتظرون شفاء ذويهم من المصابين، ويودع الباقين جثامين شهدائهم بجلد ودهشة من أثر المفاجأة، طريق في المنتصف تمر منه أجساد الشهداء الطاهرة في صناديق خشبية تحمل صور العذراء أو القديسين، قديسون معاصرون يدخلون الملكوت محمولون على الأعناق اليوم، يشهدون للصليب الذى اخلصوا له فماتوا شهداء على باب ديره يطلبون منه البركة والشفاعة يوم يلتقون الله الديان، الحزن يقسم الرجال والنساء، اليمين للرجال واليسار للنساء، على اليمين رجال وشباب من مختلف الأعمار، أهالي للشهداء وجيران لهم، هذا ابن عم الشهيد جاء يراه للمرة الأخيرة، وذاك زميله في خدمة الكنيسة، جاء ليطلب البركة من شهيد جديد في سجل كنيسة عرفت باسم أم الشهداء، وثالث من جيران الشهيد حضر معه طفولته وصباه ولم يمهله الموت ليحضر عرسه فهرول

إليه ليراه عريسا في السماء ملفوفا بالورد ومحفوفا بالدعاء

على اليسار، تقف النساء، الحزن هنا ليس كمثله شئ، أمهات ثكلى تضع في الصراخ كامل ذكرياتها، "ياهوي شجا عمري يا ولدي" تصرخ واحدة وهى تنظر للسماء، سجل كامل من حياة ابنها تمر أمامها، تستيقظ اليوم على حتفه، ستراه لمرة أخيرة موضوعًا في الجثمان فلا تسمع ضحكته ولا تشم إلا رائحة موته، ولا ترى عينيه المفتوحتين مرة ثانية.

يمين ويسار وفوق وتحت، ضرب على الصدور، لطم على الخدود، وأخر على الرؤوس، تراب يحملونه من الأرض يعفرون به وجوههم ورؤوسهم، ويكملن الاهتزاز وطقوس الصراخ، يارب يارب تقول إحداهن فتشاركهن الباقيات الدعاء لله عله يمحى عنهن أثر هذا اليوم الرهيب، تحاول واحدة احتضان قريبتها، "حرام حرام احنا مؤمنين"، تواصل الثكلى صراخها تنفس عن أثر فقدها.

سيارة نقل الموتى تظهر، تمر من باب المستشفى، يتحلق حولها الجميع، يحاولون مس الأجساد الطاهرة بإيديهم لينالوا بركة الشهداء، ويشتعل المشهد بالهتاف، بالروح بالدم نفديك يا صليب، بالروح بالدم نفديك يا صليب، تتذكر سيدة دعاء الكنيسة المفضل "يارب أرحم" ترددة بالعربية والقبطية "كيرياليسون، كيرياليسون" فيشاطرها الجميع الدعاء والنحيب، جوار أسوار المستشفى الحديدية، سقط المقدس صالح على الأرض

أبواب المستشفى تزدحم، أفواج من الشباب القبطي الغاضب تتقدم لأسر الشهداء، جماهير عريضة وحشود تملأ الأبواب، الكل في انتظار لحظة خروج الجثامين، جثمان ثالث يظهر، تشتعل الهتافات "بالروح بالدم نفديك يا صليب"، بالروح بالدم نفديك يا مسيح، التراب يهز الأفق، يختلط بالهتاف ولا تتوقف النساء عن النحيب.

مع خروج الجثامنين الرابع والخامس، كانت أعداد الناس قد تزايدت وتزاحمت، الكل يتأهب لحمل الشهداء من المستشفى إلى مطرانية مغاغة حيث الوداع الأخير، صلبان خشبية تظهر، وترتفع في السماء لتودع الجثامين وتزفها إلى هيكل الكنيسة لتصلى عليهم صلاة الجنازة ويرفع لحن جوجوثا الذي يزف به الشهداء والقديسين.

بعدها بما يقرب من الساعة، انتقلت إلى قرية دير الجرنوس التي ينتمي لها العدد الأكبر من الشهداء 16 شهيدا من العمال الذاهبين إلى الدير، وقد كانت الأجواء مشحونة فى مدخل القرية التى تسمع منها صوت العويل بوضوح، وحين وصلت إلى كنيسة السيدة العذراء التي كانت تحتضن جثث الشهداء، كان أهالي القرية قد بدأوا خلافهم مع الأنبا اغاثون أسقف مغاغة الذى ترأس الصلاة وقد انتقل الخلاف على أماكن دفن الشهداء إلى العلن حتى نهر الأسقف أحد أهالي الشهداء وقال له "اسكت يا جليل الأدب"، وكاد الأمر أن يتطور لولا تدخل العقلاء، وقد كانت كنيسة دير الجرنوس التى أراد الأسقف أن يدفن بها الشهداء أحد مزارات العائلة المقدسة بينما

لم تكن أسرهم بدفنهم في مقابر العائلة، غادرت الكنيسة بعد يوم عمل طويل وأنا أتذكر بكاء الأمهات المكلومات والأطفال الذين شهدوا الحادث المروع، فلم ألحق بموعد السحور الأول في رمضان ولكنني قرأت أنباء الضربة الجوية لمعاقل الإرهاب في درنا الليبية التي ضمت معسكرا لمرتكبي الحادث فاكتفيت بالثأر كبديل للطعام.

- دير الأنبا مكاريوس بوادي الريان.. شوكة بلعنها الكنيسة 103
- دير الأنبا كاراس بالنطرون.. شوكة أخرى جديدة 115
- عزب الأساقفة ومواد الدهم 125
- تجريد إشعياء المقارى 129
- من أوراق التحقيقات 133
- فلتاؤس المقارى.. المتهم الثانى 139
- البابا تواضروس يغضب مجددًا 145
- الصائد فى الماء العكر.. الأنبا اغاثون 149
- البابا شنودة يطل من قبره 153
- حرب المستندات الكنسية 159
- زينون المقارى.. وفاة غامضة أخرى 163
- فى أربعين الأنبا إيفانيوس 169
- هدنة مع الدير 171
- الأقباط.. كارت سياسي 179
- مؤامرة عزل البابا عن منصبه 187
- من دفتر الدم والرماد 193
- أمام مستشفى مغاغا.. موت لا يستحى 223